الطريق إلى محبة الله

تأليف: الحسيني أنور شبانة

اسم الكتاب: الطريق إلى محبة الله

اسم الكاتب: الحسيني أنور شبانة

تدقيق وتنسيق: خديجة الشربجي

تصميم الغلاف: مها أيمن

رقم الإيداع: ٢٣٧٦

الترقيم الدولي: ٥-٧٨-٨٧٩١-٩٧٧-٩٧٨

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

الطريق إلي محبة الله

الإهداء

إلي أبي – رحمه الله – الذي علمني كيف أكون محبا لله

إلي أمي نبع الحنان والحب

إلي زوجتي رفيقة الدرب

إلي أولادي قرة عيني (إسلام – آلاء – سامي – مروة)

إلي المحبين المشتاقين للقاء الله

إلي هؤلاء جميعا أهدي هذا الكتاب

الفهرس

المحتويات

إهداء ٥
الفهرس ٦
المقدمة ١٢
الباب الأول: التوابون ١٧
تمهيد: ١٩
التوبة لغة واصطلاحا: ٢٠
أهمية التوبة ٢٢
شروط التوبة: ٢٣
توبة المغتاب: ٢٤
خطر تسويف التوبة ٢٦
التوبة بالقلب واللسان والجوارح ٢٧
ان الله يغفر الذنوب جميعا: ٢٧
حكم تكرار الذنوب: ٣٠
توبة القاتل: ٣١
فرح الله تعالى بتوبة عبده ٣٥
الحسنات يذهبن السيئات: ٣٨
التوبة النصوح: ٣٩
صور من حياة التوابين ٤٠
الباب الثاني: المتطهرون ٤٥
تمهيد ٤٦

الطهارة لغة واصطلاحاً..... ٤٦
أنواع الطهارة: ٤٧
من معنى كلمة الطهارة في القرآن الكريم: ٤٧
طهارة الظاهر: ٤٩
فضل الوضوء: ٥٠
فوائد الوضوء: ٥١
طهارة الفم: ٥٥
طهارة الباطن: ٥٦
الباب الثالث: المقسطون ٦٠
تمهيد: ٦١
المقسط لغة واصطلاحا: ٦٢
المقسطون وأصناف الناس: ٦٣
مجالات العدل: ٦٤
فضل الامام العادل: ٦٥
العدل في القضاء: ٦٦
وجوب العدل بين الزوجات: ٦٧
العدل بين الاولاد: ٦٩
العدل في القوة والشهادة والكتابة: ٦٩
العدل بين المتخاصمين: ٧٠
العدل مع الاعداء: ٧١
العدل في الوصية قبل الموت: ٧١
كلمه عدل عند سلطان ظالم: ٧٢
بعض آيات القسط في القرآن الكريم: ٧٢
القسط في المعاملات: ٧٢
القسط فى اموال اليتامى: ٧٣

عدلت فنمت:..... ٧٥
ثمرة القسط والعدل: ٧٥
الباب الرابع: المتبعون لرسولﷺ ٧٨
تمهيد: ٧٩
الاتباع لغة واصطلاحاً: ٨٠
معنى اتباع رسول الله ﷺ: ٨١
حقوق الرسول ﷺ على امته:..... ٨٤
اتباع المهاجرين والانصار الرسول صلى الله علية وسلم فى ساعة العسرة: ...٨٧
واليكم فوائد اتباع الرسول صلى الله علية وسلم: ٩١
الباب الخامس: الصابرون ٩٢
تمهيد: ٩٣
الصبر لغة واصطلاحا: ٩٤
للصبر مراتب هي:..... ٩٥
الصبر ضياء :..... ٩٧
امرأة تصبر على الصرع:..... ٩٩
الصبر علي فقد نعمة البصر: ١٠٠
ما الفرق بين: صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله ؟ ١٠٠
للصابرين مراتب هي: ١٠٢
الصبر مع انتظار الفرج من أعظم العبادات: ١٠٤
ما الفرق بين الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل..... ١٠٥
فوائد الصبر وعواقبه..... ١٠٦
مجالات متنوعة تحتاج الى صبر:..... ١٠٨
ثانيا: مشتهيات النفس ١١٠

ثالثا: الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين ١١٠
فالمؤمن حقا هو الذى يعتز بما آتاه الله من نعمة الهداية إلى الإيمان والتوفيق إلى الطاعة ويعلم أن المال ظل زائل وعارية مستردة ولايبالي بمظاهر الأبهة والزينة التي يتمتع بها أصحاب الثروة والسلطان ١١٠
ثالثا: الصبر على مشاق الدعوة ١١١
الأسباب التي تعين علي الصبر: ١١٧
صور من حياة الصابرين ١١٩
خاتمة لمنزلة الصبر ١٢٦
الباب السادس: المقاتلون في سبيل الله صفا واحدا ١٣١
تمهيد: ١٣٢
الجهاد لغة واصطلاحا: ١٣٣
حكمة الجهاد: ١٣٣
فضل الجهاد: ١٣٤
ما المقصود بالبنيان المرصوص ؟ ١٣٧
الجماعة رحمة والفرقة عذاب: ١٣٩
مثال عملي للقتال صفا واحدا: ١٤٢
الباب السابع: المتوكلون علي الله تعالي ١٤٤
تمهيد: ١٤٥
التوكل لغة واصطلاحا: ١٤٦
مواطن التوكل: ١٤٨
الفرق بين التوكل والتواكل: ١٥٠
الهجرة والأخذ بالأسباب: ١٥٢
التوكل والأخذ بالأسباب: ١٥٣

درجات التوكل: ١٥٥
التوكل علي الله في جميع مناحي الحياة: ١٥٦
قصة لطيفة عن التوكل علي الله تعالي: ١٦٠
حقيقة التوكل: ١٦١
الباب الثامن: المتقون ١٦٣
تمهيد: ١٦٤
أولاً: معني التقوي لغة واصطلاحا ١٦٥
صفات المتقين ١٦٨
من معاني كلمة التقوي في القرآن: ١٧١
من أنوار السنة النبوية في تقوي الله: ١٧٢
تقوي الله في اللسان: ١٧٥
تقوي الله في المطعم: ١٧٦
تقوي الله في السمع والبصر: ١٧٧
الباب التاسع: المحسنون ١٨٠
تمهيد: ١٨١
الإحسان لغة واصطلاحاً: ١٨٣
دعوة الإسلام إلي الإحسان ١٨٣
طرق الإحسان: ١٨٥
الإحسان بالنفع البدني: ١٩١
الإحسان بالمال: ١٩٢
الإحسان بالجاه: ١٩٢
الإحسان بالعلم: ١٩٣
أثر الإحسان في حياة الأرملة: ١٩٣
من فوائد الإحسان: ١٩٥

الباب العاشر: الجيل المنشود ١٩٧
تمهيد: ١٩٨
أوصاف الذين يحبهم الله تعالي ويحبونه: ٢٠٠
شرح صفات المحبين المحبوبين: ٢٠٠
الخاتمة ٢٠٤
التوصيات ٢٠٤
المراجع ٢٠٧

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. أشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء / ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب:٧٠ – ٧١]

أما بعد:

فإنه من السهل أن يقول المسلم: أحب الله تعالى بل كثير من الناس يقولون ذلك ولكن الشأن كل الشأن أن يحبك الله تعالى . والسؤال الآن كيف أصل إلى هذه المحبة أن أكون محبوبا إلى الله تعالى **وكما قال** الرسول ﷺ " إذا أحب الله العبد دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه

فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء. إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول في الأرض" [رواه الشيخان وغيرهما]

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله تعالى من عباده المؤمنين وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم وفى هذا البحث سأتناول الطريق الى محبة الله تعالي في القرآن الكريم. و إليكم الآيات التي تناولت محبة الله تعالى لأصناف معينة باللفظ الصريح الواضح: –

و هي كما يلي:–

١ و ٢ – قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة (٢٢٢)]

٣ – قوله تعالي ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة / ٤٢]

٤ – قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم** ﴾ [آل عمران / ٣١]

٥ – قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران / ١٤٦]

٦ – قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف / ٤]

٧ – قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران / ١٥٩]

٨ – قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة / ٤ و التوبة / ٧]

٩ – قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة / ١٩٥ و المائدة ١٣]

١٠– قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم** ﴾ [المائدة ٥٤]

فاجتهد أيها المحب واحرص على هذه الصفات الطيبة واعلم أن فيها النجاة والفوز برضوان الله تعالي

ولقد قسمت الكتاب إلى مقدمة وعشرة أبواب:

الباب الأول: التوابون

الباب الثاني: المتطهرون

الباب الثالث: المقسطون

الباب الرابع: المتبعون لرسول الله ﷺ

الباب الخامس: الصابرون

الباب السادس: المقاتلون في سبيل الله صفا واحداً

الباب السابع: المتوكلون على الله تعالى

الباب الثامن: المتقون

الباب التاسع: المحسنون

الباب العاشر: الجيل المنشود

ثم الخاتمة والتوصيات

وقد يسأل سائل لم هذا الترتيب؟ وأقول إن هذا الترتيب هو اجتهاد منى فقد بدأت بالمهم فالأهم فبدأت بالتوبة لحاجة العبد إليها أولا وآخرا فالمسلم في حاجة إلى التوبة في جميع سيره إلى الله تعالى حتى يأتيه اليقين وتبلغ الروح الحلقوم فهو الي حاجة الي التوبة ما لم يغرغر أما الطهارة فقد عطفها رب العالمين على التوبة فقال سبحانه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة / ٢٢٢]

ثم القسط والعدل وإتباع الرسول ﷺ وبين أهمية الصبر ومحبة الله تعالي لأهله ثم الباب السادس كان الحديث عن المقاتلين في سبيل الله صفاً واحداً لذلك كان الصبر قبل القتال لحاجة المقاتلين والمجاهدين إلي الصبر أما التوكل على الله فإنه مقام عظيم

وقد ذكر الله فقال تعالي مقام التوكل بعد الصبر فقال تعالي ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل / ٤٢] فالتوكل مطلوب بعد الصبر ثم تناولت مقام التقوى وهو من المقامات العالية التي تحتاج إلى جهد جهيد للوصول إليها و ختمنا بمقام الاحسان

فقد قال تعالي ﴿ **ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[المائدة / ٩٣]

فبدأ سبحانه بالتقوي ثم بالإحسان والإحسان من أعلي المقامات وفق الله الجميع لما يحب و يرضي اللهم ارزقنا حبك و حب من يحبك و حب عمل يقربنا إلي حبك اللهم آمين يارب العالمين

الفقير إلى عفو ربه / الحسيني أنور شبانه الديب

الباب الأول: التوابون

- تمهيد
- التوبة لغة واصطلاحا:
- أهمية التوبة
- شروط التوبة
- توبة المغتاب
- خطر تسويف التوبة
- التوبة بالقلب واللسان والجوارح
- إن الله يغفر الذنوب جميعا
- حكم تكرار الذنوب
- توبة القاتل
- فرح الله بتوبة عبده
- الحسنات يذهبن السيئات
- التوبة النصوح
- علامات قبول التوبة
- تجديد التوبة على الدوام
- صور من حياة التوابين

لماذا بدأت بالتوبة؟

الله تعالى يفرح بتوبة العبد والمسلم في حاجة إلى التوبة في أول حياته وفي آخر حياته وإليكم هذه الكلمات الجميلة عن التوبة وأهميتها للشيخ/ على الطنطاوي رحمه الله حيث يقول هل يحبني الله؟ راودني هذا السؤال فتذكرت أن محبة الله تعالى لعباده تأتى لأسباب وأوصاف ذكرها في كتابه .... قلبتها في ذاكرتي لأعرض نفسي عليها لعلى أجد لسؤالي جوابا .... فوجدت أنه يحب المتقين ولا أجرؤ أن أحسب نفسي منهم ووجدت أنه يحب الصابرين فتذكرت قلة صبري ...! ووجدته يحب المجاهدين فتنبهت لكسلى وقلة حيلتي وجدته يحب المحسنين وما أبعدني عن هذه حينها توقفت عن متابعة البحث خشيت ألا أجد في نفسي شيئا يحبني الله لأجله وتفحصت اعمالي فإذا أكثرها ممزوج بالفتور والشوائب والذنوب .... فخطر لي قول الله تعالى " ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ** ﴾ ، كأنني للتو فهمت أنها لي ولأمثالي فأخذت أتمتم: استغفر الله وأتوب إليه أستغفر الله وأتوب إليه أستغفر الله وأتوب إليه لعلى أدخل في أحبابه قلت: اللهم اجعلنا من التوابين و إلا هلكنا وضعنا

تبنا إليك ورجعنا اليك يا رب العالمين

الباب الأول التوابون

تمهيد:

أحب الله عز وجل العبد التواب الكثير الرجوع إلى ربه وذكر ذلك في كتابه الكريم في قوله تعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢]

وعن محمد بن الحنفية عن أبيه قال: قال رسول ﷺ " إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب "[١] [٢]

وقال النبي ﷺ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها .... اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها، فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله".[٣]

قال ابن القيم رحمه الله تعالي التوبة – هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في مسمى التوبة وبهذا حبيب استحق التائب أن يكون حبيب الله فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وانما يحب الله من فعل ما أمربة وترك ما نهى عنه فإذا التوبة هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهرا

---

[١] المفتن: الذي يفتن ويمتحن بالذنوب (انظر الفتح الرباني ٢٢٨/١٩)

[٢] رواه أحمد انظر الفتح الرباني (١٩ / ٢٢٨)، وقال المناوي عن الزين العراقي أنه قال " سنده ضعيف"

[٣] رواه الحاكم صحيح الجامع ١٤٩

وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا و باطنا. ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والاحسان وتتناول جميع المقامات.

ولهذا كانت غاية كل مومن وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية التي وجد لأجلها الخلق والأمر والتوحيد جزء منها بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها و أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها فضلا عن القيام بها علما و عملا وحالا . ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه ولولا أن التوبة إسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم فجميع ما يتكلم فيه الناس من المقامات والأحوال هو تفاصيلها و آثارها.[1]

التوبة لغة واصطلاحا:

التوبة لغة: التوبة مصدر قولك: تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (تَ وَ ب)

التي تدل على الرجوع يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه توبة ومتابا والوصف منه تائب ... والتواب العبد الكثير التوبة ... وجاء في الصحاح:

[1] نضرة النعيم / ٤ / ١٢٧٢

التوبة الرجوع من الذنب،[1] قال النووي

أصل التوبة في اللغة: الرجوع يقال: تاب و ثاب و آب بمعنى بمعني رجع.[2]

التوبة في الاصطلاح: -

الرجوع من معصية الله تعال إلى طاعته وأعظمها وأرجها التوبة من الكفر إلى الايمان قال الله تعالي ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[3]

ثم يليها التوبة من كبائر الذنوب ثم المرتبة الثالثة التوبة من صغار الذنوب.[4]

وقيل التوبة " التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي والندم على كل ذنب سالف و العزم علي عدم العوده إلى الذنب في مقبل العمر " [5]

---

[1] نضرة النعيم / ٤ / ١٢٦٩

[2] صحيح مسلم بشرح النووي (٩ / ٧٣) ط دار أبي حيان ١٩٩٥ م ١٤١٥ هجري

[3] الأنفال / ٣٨

[4] شرح رياض الصالحين ت / محمد بن صالح العثيمين (١ / ٥٠)

[5] منها ٢ المسلم للجزائري ص ١١٨ ط مكتبة المعارف الرباط المملكة العربية

أهمية التوبة

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله " فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين

ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين وما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد ... ولقد قرع آدم من الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم.[1]

وقال ابن قيم الجوزية كلاما جميلا في أهمية التوبة (التوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته اليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك وقد قال تعال {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[2]

وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم و صبرهم وهجرتهم وجهادهم. ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه. وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي، إيذانا

---

[1] احياء علوم الدين الأبي حامد الغزال ص (٤ / ٣) ط دار الحديث القاهرة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م.

[2]– النور / ٣١

بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم. قال تعالي ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾[الحجرات:١١]

قسم العباد إلى تائب وظالم وما ثم قسم ثالث ألبته. وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات عمله[1]

شروط التوبة:

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالي لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها

والثالث: أن يعزم ألا يعود اليها أبدا فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها

[1] تهذيب مدارك السالكين ص ١٢١، كتبه ابن قيم الجوزية وهذبه عبد المنعم صالح العلى العزي مطبعة كاظم

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب.[1]

وأضيف شرطاً آخر للتوبة وهو: الإخلاص لله تعالى بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله عز وجل ولا يقصد بتوبته الخوف من ذم الناس أو دفع أذية ولى الأمر أو الخوف من الشرطة

توبة المغتاب:

كيف يتوب من اغتاب إخوانه المسلمين وتكلم في غيبتهم بالسوء؟

فهذه اختلف فيه العلماء فمنهم من قال لا بد أن تذهب إليه تقول له يا فلان إني تكلمت فيك عند الناس فأرجوك أن تسمح عنى وتحللني وقال بعض العلماء: لا تذهب اليه بل فيه تفصيل ! إن كان قد علم بهذه الغيبة فلا بد أن تذهب إليه وتستحله وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه واستغفر له وتحدث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها فان الحسنات يذهبن السيئات وهذا القول أصح.[2]

كما يشترط في التوبة أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة أما الأول: فلا بد أن تكون التوبة قبل حلول الأجل يعنى الموت فإن كان بعد حلول الأجل فإنها لا تنفع التائب لقول الله سبحانه

---

[1] رياض الصالحين ص ٤٢ ط قد سمة الرسالة

[2] شرح رياض الصالحين لابن العثيمين ص (١ / ٥٣

﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾[1]

النوع الثاني: إذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع أحداً توبة قال تعالي

﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾[2] و هذا البعض هو طلوع الشمس من مغربها كما فسر ذلك النبي عليه الصلاة والسلام.[3]

ومما يؤكد ما سبق قول الرسول ﷺ وان الله تعالي يقبل توبة العبد مالم يغرغر[4] ، وقال رسول الله ﷺ: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله.[5]

إن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة فإن نور الحسنة ليمحوا عن وجه القلب ظلمة السيئة كما لا طاقة لظلام الليل مع بياض النهار

---

[1] النساء، الآية ١٨.

[2] الأنعام، الآية ١٥٨.

[3] انظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ص (١ /٥٤)

[4] رواه أحمد والترمذي وغيرهما. عن ابن عمر صحيح الجامع (١٩٠٣)

[5] رواه مسلم عن أبي هريرة

وإن المؤمن يرى ذنبه كجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق والفاسق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره[1]

خطر تسويف التوبة

ان من يترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين: أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي والذنوب حتى يصير رانا وطبعا فلا تقبل المحو

الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالتوبة فيأتي الله بقلب غير سليم ولن ينجو من عذاب إلا من أتي الله بقلب سليم.[2]

لذلك ينبغي على المسلم التعجيل بالتوبة وأن يحرص كل يوم أن يتوب من جميع ذنوبه وهذا مما يتأكد وجوبه على المسلم فإن • الشيطان قد يزين للإنسان التسويف والمماطلة بالتوبة حتى يأتيه أجله ويموت على غير توبة لكن الواجب أن يستعجل السلم بالتوبة فإنه لا يدرى حتي يفاجئه الاجل وقد قال تعالي ﴿ **إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ**

---

[1] من مائدة الشريعة الإسلامية ص ٢١١ ت / سلمان نصيف الدحدوح ط / شركة العميرة للطباعة والنشر ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥

[2] من مائدة الشريعة ص ٢١١ ت / سليمان نصيف

ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء ١٧][1]

التوبة بالقلب واللسان والجوارح

ينبغي للتائب أن يتوب بقلبه فيندم على ما فات ويعزم على عدم العودة إليه ويتوب " بلسانه فيستغفر الله ويتوب إليه ويتوب و بجوارحه فلا يعود للمعصية وقد كان النبي ﷺ كثير الاستغفار والتوبة بلسانه

كما ثبت عنه ﷺ أنه قال " يا أيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ، فَإنِّي أَتُوبُ في اليَّومِ مائةَ مَرَّةٍ "[2]

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ان كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور.[3] [4]

ان الله يغفر الذنوب جميعا:

قد يسرف المرء على نفس في المعاصي والذنوب ويتلبس بالمعاصي ويرتع فيها دون خوف ولا وجل حتى كاد كثير منهم أن يصيبه اليأس

---

[1] موسوعة الآداب الاسلامية ص ٢١٣ ت / عبد العزيز ابن فتحي السيد ندا ط دار طيبه ٢٠٠٤ م – ١٤٢٥ هجري

[2] رواه مسلم عن الأغر المزني

[3] رواه أحمد والترمذي وصححه أبو داود السلسلة الصحية ٥٥٦

[4] موسوعة الآداب الاصلاحية حتي ٢١٤ ت / عبد العزيز بن فتحي.

ويقنط من رحمة الله لما فعل من معاصي أمثال الجبال وذنوب لا حصر لها يأتي قول الله تعالي **"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " [الزمر ٥٣]**

قال ابن القيم الجوزية " فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد "[١]

دعوة من الله تبارك وتعالي لعبادة الذين قعد بهم الذنب واستبدت بهم المعصية فأظلم النور في عيونهم وانطفأ الحماس في قلوبهم وأشكل الأمر عليهم فتاهوا في متاهاته وخلوا في مسالكه لولا رحمة الله بهم وفضله عليهم فيا أيها الغارقون في ذنوبهم إلى الأذقان ويا أيها المغلقون ركبهم عن طريق الرحمن

إلى أي غاية تسيرون؟ وإلى أي هدف تقصدون؟ وكيف من الله في النهاية تفرون؟ إنه بيده نواصيكم وإليه مرجعكم فأين المفر والإله الطالب والأرض كلها له؟ وأين تذهبون والسموات مطويات بيمينه؟ إن كان إسرافكم في الذنب أيأسكم فالنداء لمن أسرفوا فقوله سبحانه " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ " أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا " ولقد كانوا يظنون أن الذنوب لا تغفر.[٢]

---

[١] الداء والدواء ص ٢٥٦ ط ٣/ لدار ابن الجوزي – السعودية.

[٢] جريدة المسلمون عدد ١٠٢ تاريخ ١٩٢٧/١/٢٣ مقاله للشيخ عبد الرحمن البنان

أيها العاصي لقد أورد مسلم في صحيحه باب سقوط الذنوب بالاستغفار ثم ذكر هذا الحديث الجميل عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم.[1]

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ " كل ابن آدم خطاء فخير الخطائين التوابون ولو أن لابن آدم واديين من مال لا بتغي ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب (زاد فى رواية) و يتوب الله على من تاب".[2]

وهكذا كان رسول ﷺ يفتح دائما باب التوبة فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى فأخبره فأنزل الله

تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات)[3] فقال الرجل: ألي هذا يا

رسول الله؟ قال لجميع أمتى كلهم)[4]

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أصبت حداً فأتمه على وحضرت الصلاة فصلى مع الرسول ﷺ فلما

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي (٩ /٧٥ – ٧٦)

[2] الفتح الرباني في ترتيب مسند احمد (١٩ / ٣٣٧)

[3] هود / ١١٤

[4] متفق عليه

قضى الصلاة قال: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقم في كتاب الله قال: هل حضرت معنا الصلاة؟ " قال نعم قال: قد غفر لك.[1]

وقوله أصبت حداً معناه: معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة ولا يجوز للإمام تركها.[2]

وقال النووي " هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير وهي هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة.[3]

حكم تكرار الذنوب:

قال النوري " أنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة الجميع قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته.[4]

والدليل علي كلام النووي رحمه الله هذا الحديث الدليل القدسي فعن أبى هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: " أذنب عبد

---

[1] متفق عليه

[2] منهاج الصالحين ص ٩٤٦

[3] صحيح مسلم شرح النووي (٩ / ٩٤-٩٥) ط دار حيان

[4] صحيح مسلم بشرح النووي (٩ / ٨٨)

ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالي: أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدى فليفعل ما شاء)).[1]

وقوله تعالى " فليفعل ما شاء " أي ما دام يفعل هكذا يذنب ويتوب أغفر له فإن التوبة تهدم ما قبلها[2] وقال النووي " قوله عز وجل للذي تكرر ذنبه: (اعمل ما شئت فقد غفرت لك) معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك"[3]

توبة القاتل:

هل للقاتل عمداً توبة؟

ذهب بعض العلماء إلى أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما واستدل بعدة أدلة فيها ما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت الي ابن عباس

---

[1] متفق عليه

[2] منهاج الصالحين ص ٩٤٥

[3] صحيح مسلم بشرح النووي (٩ / ٨٨)

فسألته عنها. فقال: نزلت هذه الآية " وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " هى آخر ما نزل و ما نسخها شيء

وروى النسائي عنه قال: سألت ابن عباس هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبه ؟ قال: لا وقرأت عليه الآية التي في الفرقان " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ " قال: هذه آية مكية نسختها آية مدينة " وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ".[1]

وذهب الجمهور الي أن توبة القاتل عمدا مقبولة واستدلوا على ذلك ببضعة أدلة لا نلخصها فيما يلى:-

أولا: أن الكفر أعظم من القتل العمد فإذا قبلت التوبة عن الكفر فالتوبة عن القتل أولى بالقبول

ثانيا: قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ . لِمَن يَشَاءُ) يدخل فيه القتل وغيره

[1] انظر تفسير آيات الأحكام ت محمد على الصابوني ح ٣ مكتبة الغزالي دمشق ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م ص (١ / ٥٠٤) وانظر القرطبي (٥ / ٣٣٢) الناشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧

ثالثاً: حديث الصحيحين " بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ثم قال فمن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وان شاء عذبه.[1]

والرأي الراجح هو رأى الجمهور لما سبق من أدلة ولقوله تعالي " إن الحسنات يذهبن السيئات "

وقوله تعالي " **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده " [الشوري ٢٥]**

أما دليل القائلين بعدم قبول توبة القاتل وهي الآية الكريمة قال القرطبي ثم إن الجمع بين آية (الفرقان) وهذه الآية ممكن فلا نسخ ولا تعارض وذلك أن يحمل مطلق آية " النساء " على مقيد آية "الفرقان" فيكون معناه فجزاؤه كذا إلا من تاب "[2]

وقال العلامة الشوكاني: " والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه واذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدها تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه والدخول في باب التوبة فكيف بما دونه من المعاصي التي

---

[1] انظر تفسير آيات الإحكام للصابوني (١ / ٥٠٥)

[2] تفسير القرطبي (٥ / ٣٣٤)

من جملتها القتل عمدا؟ والله أحكم الحاكمين هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.[1]

ولقد أورد مسلم في صحيحه حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا فقال باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ثم ذكر عن أبي سعيد الخدري أن

نبي الله ﷺ قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفسا. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة والتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمّل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدَّل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم. ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق آتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي؟ فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فالى ايتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة.[2]

---

[1] فتح القدير (١/ ٤٩٩) ط ٣ دار الفكر ١٩٧٣م – ١٣٩٣ هـ.

[2] صحيح مسلم شرح النووي (٩ / ٩٥) والحديث متفق عليه

وفي رواية في الصحيح: " فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها " وفى رواية في الصحيح: فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له " وفى رواية: " فنأى بصدره نحوها "[1] وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر وفضل العلم على العبادة مع الجهل، وفيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية و التحول منها كلها والاشتغال بغيرها.[2]

فرح الله تعالى بتوبة عبده

فعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه في أرض فلاة " [متفق عليه] وفي رواية لمسلم " لله أشد فرحا بتوبه عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع **في** ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ اهو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح، ففي هذا الحديث: دليل على فرح الله عز وجل بالتوبة من عبده إذا تاب إليه وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيمة، ولكن

---

[1] رياض الصالحين ص ط ٥ الرسالة

[2] نفس المرجع السابق ص ٤٥ بالها من كلام شعيب الأرنؤوط المحققه

لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا فالله غنى عنا ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يعفو وأن يغفر أحب إليه من ان ينتقم ويؤآخذ ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان. ففي هذا الحديث: حث على التوبة لأن الله يحبها وهى من مصلحة العبد وفيه إثبات الفرح لله عز وجل فهو سبحانه وتعالى يفرح ويغضب ويكره ويحب ولكن هذه الصفات ليست كصفاتنا لان الله يقول " لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ " [الشوري] بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله ولا يشبهه فرح المخلوقين وفيه دليل على أن الإنسان إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرا سبق لسانه إليه فإنه لا يؤاخذ به فهذا الرجل قال كلمة كفر لأن قول الإنسان لربه أنت عبدي وأنا ربك هذا كفر لا شك فيه لكن لما هذا صدر عنه خطأ من شدة الفرح صار غير مؤاخذ به وكذلك غيرها من الكلمات لو طلق زوجته على وجه الخطأ دون القصد أو أعتق عبده علي وجه الخطأ بدون قصد

فكل هذا لا يترتب عليه شيء لأن الإنسان لم يقصده فهو كاللغو في الإيمان وقد قال الله تعالى ﴿ **لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ **[البقرة ٢٢٥]**

وهذا من رحمة الله عز وجل والله الموفق.[١]

[١] انظر اشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١ / ٥٩-٦٠)

فسارع يا عبد الله إلي باب ربك وللأسف نرى أناساً سار بهم الزمن حتى وصل سن الستين ولم يتب ولم يرجع إلي ربه فليقرأوا هذا الحديث الشريف عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أعذر الله إلى امرئ أخَّرَ أجله حتى بلغ ستين سنة[1] قال العلماء معناه: لم يترك له عذرا إذا أمهله هذه المدة. يقال: أعذر الرجل إذا بلغ الغاية في العذر.[2]

فعلينا الرجوع إلى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين من سبقت رحمته غضبه وحلمه عقوبته وعفوه مؤاخذته

قال الفقيه رحمه الله تعالى " فلا ينبغي للعبد أن ييأس من رحمة الله تعالي "فإن الله تعالي قال ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [3]

وقال في آية أخرى ،﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ **[الشوري / ٢٥]** فينبغي للعاقل أن يتوب إلى الله في كل وقت ولا يكون مصرا على الذنب فإن الراجع عن ذنبه لا يكون مصرا وإن عاد في اليوم سبعين مرة كما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين

---

[1] رواه البخاري

[2] منهاج الصالحين عز الدين بليق ط / دار الفتح بيروت ص ٩٤٥ ط / ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

[3] يوسف /٨٧

مرة،[1] [2] فسارع إلي التوبة فقد قال رسول الله ﷺ " التائب من الذنب كمن لا ذنب له ".[3]

الحسنات يذهبن السيئات:

وقد قال تعالى ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ **[هود]آية/١١٤**

وقال النبي ﷺ ".... واتبع السيئة الحسنة تمحها".[4]

فينبغي للتائب أن لا يدع موضعا عصى الله فيه إلا أطاعه فيه وألا يدع معصية ركبها إلا أتى بعكسها من خصال الخير وبضدها من أعمال البر . فمثلا من كانت معصيته الكذب يبدل مكانها الصدق ومن كانت معصيته الزنا يبدل مكانها العفة وهكذا

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾
[البقرة/١٥٩-١٦١]

---

[1] رواه أبو داود و الترمذي وقال عنه: هذا حديث غريب

[2] تنبيه الغافلين من ٥٣ لأبي الليث نصر بن محمد بن احمد السمرقندي ط ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م دار الكتاب العربي – بيروت

[3] قال ابن قيم الجوزية وهذا حديث حسن بشواهد

[4] رواه أحمد والترمذي عن معاد صحيح الجامع (٩٧)

فجعل سبحانه من كمال توبتهم من ذنبهم – و هو كتمان الحق ان يأتوا بضده من عمل الخير وهو بيان الحق للناس وبيان ما أنزل الله . فالآية تدل صراحة على ما ذكر في هذا الأدب [1] كما ينبغي على المسلم أن يرد المظالم إلى أهلها فقد قال رسول الله ﷺ / من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولادرهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه.[2]

التوبة النصوح:

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم / ٨] قال محمد بن كعب القرظى: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان و إضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الإخوان.[3]

---

[1] موسوعة الآداب الإسلامية ص ٢١٦ ت / عبد العزيز بن فتحي السيد ندا

[2] رواه البخاري

[3] تهذيب مدارج السالكين، ص١٧٨.

صور من حياة التوابين

قصة توبة الفضيل بن عياض رحمه الله تعالي.[1]

كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينا هو يرتقي الجدران إليها ، إذ سمع تاليا يتلو ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم: نرحل ، وقال بعضهم: حتى [نصبح] فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا .

قال: ففكرت ، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي ، وقوم من المسلمين هاهنا ، يخافوني ، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع ، اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام .[2]

قصة توبة بشر الحافي

قال محمد بن الصلت يقول: "سمعت بشر بن الحارث وسئل: ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟".

---

[1] هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشرالتميمي اليربوعي ابو علي الزاهد المشهور أصله من خرسان وسكن مكة ثقة عابد امام من أتباع التابعين مات سنة سبع وثمانين ومائة (انظر التوابين/ابن قدامة المقدسى ص/١٥٨)

[2] التوابين ص/١٥٨ والتهذيب(٨/٢٩٤-٢٩٥)

قال: هذا من فضل الله وما أقول لكم؟ كنت رجلا عيارا صاحب عصبية فجزت يوما فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فمسحته وجعلته في جيبي.

وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس.

فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول: يا بشر بن الحارث! رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة! ثم كان ما كان.[1]

وحكي أن بشرا كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال: صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت: بل حر! فقال: صدقت لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب.

فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافيا حاسرا وقد ولى الرجل فقال للجارية: ويحك! من كلمك على الباب فأخبرته بما جرى فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا.

فتبعه بشر حتى لحقه فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم قال: أعد علي الكلام فأعاده عليه فمرغ

[1] التوابين ص/١٦٠

بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبد! ثم هام على وجهه حافيا حاسرا حتى عرف بالحفاء.

فقيل له: لم لا تلبس نعلا قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات .

توبة القعنبي:[1]

قال أبو العباس أحمد بن محمد بن الصباح البزاز قال: لم يرو القعنبي عن شعبة غير هذا الحديث الواحد وله شرح: حدثني بعض القضاة عن بعض ولد القعنبي بالبصرة قال:

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث فدعاهم يوما وقد قعد على الباب ينتظرهم فمر شعبة على حماره والناس خلفه يهرعون.

فقال: من هذا؟ قيل: شعبة.

قال: وأيش شعبة؟ قالوا: محدث.

---

[1] عبد الله بن مسلمة بن قعنب»، الإمام الثبت القدوة، شيخ الإسلام، نزيل البصرة، ثم مكة .

** أحد فقهاء المالكية، بل وأبرزهم وأحد أوعية العلم، ومن المكثرين من الرواية، حتى غدا علم من الأعلام الفكرية في القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجري.

فقام إليه وعليه إزار أحمر فقال له: حدثني فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينة وقال: تحدثني أو أجرحك؟.

فقال له: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"[1]

فَرَمَى سِكِّينَهُ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَامَ إِلَى جَمِيعِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّرَابِ فَهَرَاقَهُ وَقَالَ لأُمِّهِ: السَّاعَةَ أَصْحَابِي يَجِيئُونَ فَأَدْخِلِيهِمْ وَقَدِّمِي الطَّعَامَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا أَكَلُوا فَخَبِّرِيهِمْ بِمَا صَنَعْتُ بِالشَّرَابِ حَتَّى يَنْصَرِفُوا.

وَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَزِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فَأَثَرَ عَنْهُ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ مَاتَ شُعْبَةُ فَمَا سَمِعَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ.
وعن الميموني: سمعت القعنبي يقول: اختلفت إلى مالك ثلاثين سنة ، ما من حديث في " الموطأ " إلا لو شئت قلت: سمعته مرارا .وأصبح القعنبي أحد رواة الحديث وواحدا من العلماءالثقة في عصره وتتلمذعلي يده البخاري ومسلم وأبو داود وافته المنية في مكة ٢٢١هجرى

ورحم الله من قال

يارب عفوك لا تأخذ بزلتنا

و ارحم الهي ذنبا قد جنيناه

[1] [أحمد ١٢١/٤ – ١٢٢، البخاري ٣٤٨٣ – ٣٤٨٤، أبو داود ٤٧٩٧، ابن ماجة ٤١٨٣.]

كم نطلب الله في ضر يحل بنا

فإن تولت بلايانا نسيناه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا

فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه

و نركب الجو في أمن و في دعة

فما سقطنا لأن الحافظ الله

اللهم تب علينا ياتواب واغفر لنا ياغفارياارحم الرحمين

الباب الثاني: المتطهرون

ويشتمل هذا الباب على ما يلى:

- **تمهيد**
- **الطهارة لغة واصطلاحا**
- **أنواع الطهارة**
- **من معانى كلمة الطهارة في القران الكريم**
- **طهارة الظاهر**
- **فضل الوضوء**
- **فوائد الوضوء**
- **طهارة الفم**
- **طهارة الباطن**

الباب الثاني: المتطهرون

تمهيد

أحب الله تعالى العبد المتطهر فقال سبحانه (أن الله يحب التوابين ويحب التوابين ويحب المتطهرين)البقرة (٢٢٢) وقال تعالى (لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين)التوبة (١٠٧-١٠٨) والطهر في الآية يشمل تطهير الباطن من الشرك والرياء والغل والحقد والحسد وتطهير البدن والجوارح بالماء

الطهارة لغة واصطلاحاً

الطهارة في اللغة: النزاهة عن الاقذار.[١]

واصطلاحاً: قال الراغب: الطهارة ضربان

طهارة جسم وطهارة نفس ولكل معناه الاصطلاحي

فطهارة النفس: ترك الذنب والعمل للصلاح وتنقية النفس من المعايب

وطهارة الجسم: رفع حدث او إزالة نجس.[٢]

---

[١] المغني لابن قدامة ص(١٢/١) ط٦ دار عالم الكتب الرياض

[٢] نضرة النعيم(٧ -٢٠٧١٩)

وقيل الطهارة شرعاً: هي عبارة عن غسل اعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة.[1]

((وقيل الطهارة اما حقيقية كالطهارة بالماء او حكمية كالطهارة بالتراب في التيمم)).[2]

أنواع الطهارة:

((قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الطهارة أنواع منها طهارة من الكفر والفسوق ٠٠٠٠ ومنها الطهارة من الحدث ٠٠٠٠ ومنها الطهارة من الاعيان الخبيثة التي هي نجسة)).[3]

من معنى كلمة الطهارة في القرآن الكريم:

[قال ابن الجوزي رحمه الله: ذ كر اهل التفسير ان الطهارة في القران على أوجه

١. الطهارة من الذنوب ومنه قول الله تعالى في براءة ((خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)التوبة (١٠٣)

٢. الطهارة من الاوثان ومنه قولة تعالى: (أن طهرا بيتي للطائفين)البقرة (١٢٥)

---

[1] الموسوعة الفقهية اوقاف الكويت ص(٢١/٢٩)

[2] فقه السنه ص ١٥ الطبعة اولى ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م الشركة الدولية للطباعة . مصر .

[3] مجموعة فتاوى ابن تيمية (٢١/٦٧ . ٦٨)

٣. وتأتى الطهارة بمعنى الحلال قال تعلى في سورة هود عل لسان لوط عليه السلام ((هؤلاء بناتي هن أطهرلكم) هود آية(٧٨) أي أحل

٤. ومنها طهارة القلب من الريبة ومنه قولة تعالى (ذلكم ازكى لكم وأطهر) البقرة(٢٣٢)

٥ . الطهارة من الفاحشة ومنها قولة تعالى (يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك)ال عمران / ٤٤ وقال الجرجاني: الطاهر من عصمه الله تعالى من المخالفات

وطاهر الظاهر: من عصمه الله تعالى من المعاصي

وطاهر الباطن: من عصمه الله تعالى من الوساوس

وطاهر السر: من لا يغفل عن الله تعالى طرفه عين

وطاهر السر والعلانية: من قام بتوفيه حقوق الحق والخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبيين)[١]

مما سبق نخلص الى ما يلى:

الطهارة قسمان: ظاهرة وباطنة

---

[١] نضرة النعيم(٧/٢٧٢٠-٢٧٢١)

فالطهارة الباطنة هي تطهير النفس من اثار الذنب والمعصية وذلك بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والمعاصي وتطهير القلب من اقذار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكبر والعجب والرياء والسمعة وذلك بالإخلاص واليقين وحب الخير والحلم والصدق والتواضع وارادة وجه الله تعالى بكل النيات والاعمال الصالحة ٠

والطهارة الظاهرة هي: طهارة الخبث وطهارة الحدث

فطهارة الخبث تكون بإزالة النجاسات بالماء للطهور من لباس المصلى وبدنه ومكان صلاته ٠

وطهارة الحدث هي: الوضوء والغسل والتيمم.[١]

طهارة الظاهر:

ينبغي على المسلم ان يحافظ على طهارة الظاهر ويحرص عليها بيكون محبوبا عند الله تعالى وللأسف نجد بعضهم يمكث اسابيع وشهور دون ان يمس جلده الماء ولا يلتزم بسنن الفطرة ٠

ولذلك يستحب للمسلم ان يغتسل يوم الجمعة حيث يجتمع العدد الكبير من المسلمين فعن ابى سعيد رضى الله عنه (ان النبى ﷺ قال: غسل

[١] منهاج المسلم ت ابو بكر الجزائري ص(٢٠٨-٢٠٩)

الجمعة واجب على كل محتلم ووان يمس من الطيب ما يقدر علية) رواه البخاري ومسلم

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال:

(حق على كل مسلم ان يغتسل فى كل سبعه ايام يوما يغسل فيه رأسه وجسده) رواه البخاري ومسلم حتى ذهب بعض الفقهاء الى وجوب الغسل يوم الجمعة والصحيح انه مستحب لما رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال (من توضأ فأحسن الوضوء تم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام) رواه مسلم ففي الحديث السابق يبنى ان الوضوء فقط كاف يوم الجمعة

كما استحب العلماء غسل العيدين وغسل الاحرام بحج او عمرة وغسل دخول مكة وغسل الوقوف بعرفة وغيرة

فضل الوضوء:

الوضوء: طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين.[1]

دليل مشروعية الوضوء:

١. قال الله تعالى (يا ايها الذين أمنوا إذا قمتم الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين)المائدة/٦

[1] فقه السنة ص(٣١)الطبعة الاولي دار الفتح ٢٠٠٤م

٢. عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي ﷺ قال (لا يقبل الله صلاة احكم اذا احدث حتى يتوضأ)رواه الشيخان

٣. الاجماع على مشروعية الوضوء فصار معلوماً من الدين بالضرورة.

فوائد الوضوء:

١. الوضوء يطهر المسلم من الخطايا:

عن عبدالله الصنابحى رضى الله عنه ام رسول الله ﷺ قال (إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حت تخرج من تحت أظافر يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجلية حتى تخرج من تحت أظافر رجلية ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة)(رواه مالك

٢. الوضوء ينير وجوه امة الاسلام يوم القيامة:

فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت النبي ﷺ يقول (إن أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثار الوضوء قمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) رواه البخاري

فنور الوضوء يفرق بين امه محمد ﷺ وبقية الامم يوم القيامة

الغر: جمع الاغر من الغرة: بياض الوجه يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة

ومحجلين / أي: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والاقدام).[1]

٣. الوضوء طريق الجنة: .

عن أبى هريرة: رضى الله عنه قال ان النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: (يا بلال أحدثنى بأرجي عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة) قال: ما عملت عملاً ارجى عندي انى لم اتطهر طهورا في ساعه ليل او نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لى ان اصلى) (البخارى)

٤. الوضوء من خصال الايمان الخفية:

فلو دخل رجل المسجد وصلى وهو على غير وضوء لم يعلم به الا علام الغيوب لذلك قال الرسول ﷺ (لا يحافظ على الوضوء الا مؤمن) فالوضوء عبادة لا يطلع عليها الا الله فيستدل بها على صحة الايمان.

٥. دعاء الملك لمن نام متوضأ:

قال رسول الله ﷺ (من بات طاهراً بات في شعاره [1] ملك فلا بستيقظ من ليل الا قال الملك: (اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهراً)رواه الطبراني واحمد

---

[1]رياض الصالحين ص ٤٢٨ بالهامش تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة

فيحصل للعبد اذا بات وهو على طهارة ثلاث خصال من الخير اولها: انه يبيت فى شعاره ملك وثانيها: ان الملك يدعو له بالمغفرة وثالثها: انه اذا مات مات على طهارة

٦. ومن فوائد الوضوء: انه اذا انتهى منه وختمه بالشهادتين كان ذلك سببا فى ان تفتح له ابواب الجنه الثمانية يدخل من ايها شاء عن عمر بن الخطاب وعقبه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال (ما منكم احد يتوضأ فيبلغ او يسبغ الوضوء ثم يقول: اشهد ن لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)(رواه مسلم) وزاد في رواية (اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين)

٧. ومن ثمرات الوضوء العظيمة كما ذكرنا في اول هذا الباب هي محبة الله سبحانه للمتطهرين قال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)التوبة/١٠٨

فما اعظمها من محبة وما افضلها من قربه فكيف لا نحرص على عبادة بحيها الله ويحب من يفعلها ؟

٨. الوضوء يرفع درجات العبد:

---

[١] الشعار: الشباب التى تلى جسده

فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟) قالوا: بلى يارسول الله قال: (‘ اسباغ الوضوء وكثرة الخطى الى المساجد وإنتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) رواه مسلم

فإسباغ الوضوء على المكاره وخاصة فى ايام البرد والليالى الشاتية سبب فى هذا الاجر العظيم

٩. الوضوء شرط لصحة الصلاة والطواف

١٠. الوضوء ينشط الجوارح ويزيد في حركة الدم في البدن فيقف العبد بين يدى الله تعالى بطهارة ونشاط ٠

١١. الوضوء وسيلة من وسائل الوقاية من الامراض ومن المعروف ان الوقاية خير من العلاج ٠

١٢ . اشاعة النظافة فى المجتمع تبعث فى النفس السرور ٠

١٣ . ترك الوضوء له أثر سلبى على المسلمين داخل المساجد فعن ابى روح عن رجل من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ انه صلى الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه فلما صلى قال: ما بال اقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور فإنما يلبس علينا القرأن أولئك) رواه النسائى واحمد

١٤ . الوضوء قبل النوم يجعل المسلم مستجاب الدعوة:

فعن ابى اسامة الباهلى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من آوى الى فراشة طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل سأله الله شيئا من خير الدنيا والاخرة إلا أعطاه إياه) رواه الترمذي وابو داود وقال محقق جامع الاصول: له شواهد بمعناه يقوى بها

١٥ . الوضوء والطهارة يأخذ جزءاً كبيراً من الايمان حتى قال رسول الله ﷺ (الطهور شطر الايمان)[١]

سبب نزول قوله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)التوبة/١٠٨
عن ابى هريرة . رضى الله عنه . عن النبى ﷺ قال (نزلت هذه الاية فى أهل قباء)(فيه رجال يحبون ان يتطهروا)
قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية) ٣. رواه ابوداود والفظ له والترمذي وقال الألباني صحيح (١١/١)

طهارة الفم:

وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على نظافة وطهارة الفم فأمر بالسواك والاكثار من التسوك وخصوصا عند الصلاة يقول الرسول ﷺ (امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب على) رواه احمد عن واثلة ٠ صحيح الجامع (١٣٧٦) وقبل الصلاة لقول الرسول صلى الله علية

[١] رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة

وسلم (لو لا أن اشق على امتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) . رواه البخاري ومسلم

والسواك مطلوب عند دخول البيت وعند الاستيقاظ من النوم وعند قيام الليل (ومما يعنى على كثرة التسوك ان يحتفظ المسلم بالسواك معه فى جيب ثوبه دائماً حتى يكون سهل التناول والاستعمال فى كل حال).[1]

طهارة الباطن:

وكما يحرص المسلم على طهارة الظاهر يحرص على طهارة الباطن بان يكون نيته خالصة لله تعالى دائما موحداً لله مبتعداً عن الشرك فقد قال سبحانه (إنما المشركون نجس) (التوبة/٢٨) بل اقسم الله تعالى احد عشر قسماً على فلاح من طهر نفسه وزكاها فقال سبحانه وتعالى (والشمس وضحاها ..... الى قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) (الشمس /١-١٠)

بل جعلها الله تعالى من مهام الرسول ﷺ فقال سبحانه (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) (البقرة١٥١)

وما اجمل هذا الحديث في عذاب القبر يبين لنا ان من اسباب عذاب القبر عدم طهارة الباطن والظاهر

[1] موسوعة الآداب الاسلامية ص ١٩٨.

عن ابن عباس رضى الله عن ان رسول الله صلى الله عليه سلم مر بقبرين فقال (إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير بل انه كبير: اما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الاخر فكان لا ستتر من بوله)متفق عليه

قال العلماء: معنى: (وما يعذبان فى كبير: كبير فى زعمهما وقيل: كبير تركه عليها (رياض الصالحين٥٧٩)

فاحرص ايها المسلم على طهارة القلب والبدن فليست هناك امه تحافظ على الطهارة مثل هذه الامه الاسلامية امه تتوضأ وتتطهر في اليوم خمس مرات لتقف بين يدى ربها

فقال رسول الله ﷺ (ما على احدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته) (رواه ابو داود وابن ماجة

بل حذر الرسول ﷺ من كانت له رائحة كريهة من دخول المسجد قال رسول الله ﷺ (من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو أدم) رواه مسلم

فينبغي على المسلم ان يحرص دائماً ان تنبعث منه الرائحة الطيبة وهكذا كان رسول الله ﷺ

فعن انس ابن مالك رضى الله عنه قال (ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله ﷺ) (مسلم)

وكان ﷺ اذا صافح المصافح ٠

ظل يومه يجد ريح الطيب فى يده واذا وضع يده على رأس الصبى عرف من بين الصبيان بالرائحة الزكية فعن جابر: (ان النبي صلى الله عليه ويلم لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الاعرف انه سلكه من طيبة) رواه البخاري

ألا فليحرص المسلم على الطهارة والنظافة ليكون شامة بين الناس نظيف جسمه يستحم كثيرا ولا يرضى ان تفوح من اردانه او قدميه رائحة منفرة ويكون المسلم ايضا طاهر اللسان فلا يغتاب ولا يمشى بين الناس بالنميمة ويطهر قلبة ونفسه من الحسد والحقد والبغضاء طاهراً فى الظاهر وطاهر فى الباطن اللهم اجعلنا من المتطهرين يارب العالمين ٠

دعاء

اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين

اللهم كما طهرت اعضاءنا بالماء البارد فطهر قلوبنا من النفاق والكفر ومن الغش والكبر ومن الحق والحسد ومن الرياء والغل يارب العالمين.

اللهم كما سترت ظواهرنا من العيوب والجروح والامراض فاستر بواطننا يا ارحم الراحمين

اللهم كما اضفيت علينا لباس الستر في الدنيا فلا تفضحنا على رؤوس الاشهاد يوم نأتيك حفاه عراة غرلا.

الباب الثالث: المقسطون

- تمهيد
- المقسط لغة واصطلاحاً
- المقسطون واصناف الناس
- مجالات العدل
- فضل الامام العادل
- العدل في القضاء
- وجوب العدل بين الزوجات
- العدل بين الاولاد
- العدل في القول والشهادة والكتابة
- العدل مع الاعداء
- العدل في الوصية قبل الموت
- كلمة عدل عند سلطان جائر
- بعض آيات القسط في القران الكريم
- المصري وابن عمرو بن العاص
- عدلت فنمت
- ثمرة القسط والعدل

الباب الثالث: المقسطون

تمهيد:

اورد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم محبته للمقسطين ٠
والمقسطون هم المنصفون العادلون في احكامهم واقوالهم بين الناس فلا يظلمون احداً ولقد ذكرت محبه الله للمقسطين في كتابه الكريم صراحة في ثلاث آيات وهى كما يلى:

١. قال تعالى (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) المائدة آية(٤٢)

٢. قولة تعالى (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)الحجرات آية(٩)

٣. قولة تعالى: **(لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ)** [الممتحنة آية(٨)]

فالله تعالى يحب اهل العدل والاستقامة والانصاف والله سبحانه من اسمائه المقسط بمعنى العادل ٠

وما أنزل كتبة ولا أرسل رسله ولا كلف الناس بالشرائع الا لأجل اقامة الحق والعدل قال تعالى (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ)الحديد (٢٥)

المقسط لغة واصطلاحا:

لغة: أقسط: عدل ويقال: أقسط في حكمه ٠ وأقسط بينهم واليهم عدل في القسمة والحكم ٠ فهو مقسط.[١]

وقسط فلان: جار وعدل عن الحق وظلم.[٢]

لهذا قال تعالى: **﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾** [الجن: الآية ١٥]

يعنى الظالمبن الجائرين الذين توعدهم الله بأن يكونوا حطبا لجهنم أما المقسطون من اقسطوا من الرباعي فهؤلاء هم: أهل العدل

المقسطون اصطلاحاً:

هم اهل العدل الموفقون المهديون الذين يعدلون في حكمهم وفى أهليهم وفيمن ولاهم الله عليه ٠

[١] المعجم الوسيط (٧٣٤/٢) الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ دار الامواج . بيروت . لبنان

[٢] نفس المرجع السابق (٧٣٤/٢)

المقسطون وأصناف الناس:

هؤلاء المقسطون العادلون يلتزمون بالقسط والعدل مع ثلاثة أصناف من الناس ولذلك نالوا محبة ربهم

١. الصنف الاول: المسلمون

فهم مقسطون مع المسلمين بالإصلاح بين الفئات المتخاصمة بالعدل

قال تعالى: **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفئ الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)**الحجرات آية(٩)

٢الصنف الثاني: اليهود

فالمقسطون من المسلمين امرهم الله تعالى ان يحكموا بالعدل مع اليهود

قال تعالى عنهم: **(سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ)**المائدة آية(٤٢)

٢الصنف الثالث: الكفار

فالعدل مطلوب ايضا مع الكفار

قال تعالى (لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ) الممتحنة آية(٨)

قال ابن عاشور / البر: حسن المعاملة والاكرام والقسط: العدل.[١]

مجالات العدل:

وللعدل مجالات متعددة: نذكرها فيما يلى:

العدل فى الحكم:

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: ٥٨]

(ويتحقق العدل في الحكم بإيصال كل حق الى مستحقة والحكم بمقتضى ما شرع الله من احكام ويتجنب الهوى بالقسمة بين الناس بالسوية).[٢]

---

[١] التحرير والتنوير مجلد ١٣ ج ٢٨ ص ١٥٣

[٢] عناصر القوة في الاسلام ت السيد سابق بتصرف ط دار الكتاب العربى بيروت ص (١٤٩ . ١٥١)

ولقد بين الرسول ﷺ فضل الامام العدل فقال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظلة يوم لا ظل الا ظلة: الامام العادل)رواه البخاري ومسلم

فجعل الامام العادل أول السبعة لعموم النفع به اذ ما يزع الله بسلطان اعظم مما يزع بالقرآن كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولأنه بصلاح الامام تصلح الامه وبفساده تفسد).[1]

فضل الامام العادل:

وقد جاءت نصوص كثيرة تحض الامام على العدل

وتبين فضله ان التزم به ومنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: {مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ} [صحيح] - [رواه أحمد]

ويوبقه الجور يعني يهلكه الجور

- وعن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((إنّ أحبّ النّاس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا: إمام عادل، وأبغض النّاس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسا: إمام

[1] توجيهات نبوية على الطريق (١٤٣/٢) د السيد نوح ج ١ ١٤١٣ هجرى/ ١٩٩٣م

جائر)[1] وقال رسول الله ﷺ (صنفانِ من أُمَّتِي لن تنالَهُما شفاعتي ، إمامٌ ظلومٌ غشومٌ ، و كلُّ غالٍ مارقٍ)

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال . سمعت رسول اللع صلى الله عليه وسلم يقول (أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال)رواه مسلم

العدل في القضاء:

ومن مجالات العدل: العدل فى القضاء:

(والعدل واجب على القاضي حتى يأخذ كل ذى حق حقة والا اختل النظام وأهدرت الدماء والاعراض والاموال وضاع المظلوم دون ان يجد من ينصفه).[2]

وينبغي على القاضي أن يبذل جهده للوصول الى الحق فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر اما من يتعمد الخطأ فويل له ثم ويل له

عن عبد الله بن أبي أوفى ، رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله – ﷺ –: إن الله مع القاضي ما لم يجر ، فإذا جار تخلى عنه ولزمه

---

[1] رواه الترمذي وحسنة السيوطي في الجامع الصغير ونقل المناوئ عن ابن القطان قولة الحديث حسن

[2] عناصر القوة في الاسلام ت/ سيدى سابق ص ١٥٥

الشيطان " . رواه الترمذي ، وابن ماجه . وفي رواية: " فإذا جار وكله إلى نفسه " عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ: رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَلَمْ يَقْضِ بِهِ، وَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ، فَهُوَ فِي النَّارِ. رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

قال الرازي: قال الشافعي رضى الله عنه

ينبغى للقاضي أن يسوى بين الخصمين في خمسة اشياء:

١. فى الدخول علية.

٢. والجلوس بين يدية.

٣. والاقبال عليهما.

٤. والاستماع لهما.

٥. والحكم عليهما

وجوب العدل بين الزوجات:

اباح الله تعدد الزوجات وقصره على أربع واوجب العدل بينهن في الطعام والمسكن والكسوة والمبيت وسائر ما هو مادى: من غير تفرقة

بين غنية وفقيرة وعظيمة وحقيرة ٠ فان خاف الرجل الجور وعدم الوفاء بحقوقهن جميعا ٠ حرم عليه الجمع بينهن لقولة تعالى(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أدنى أَلَّا تَعُولُوا) النساء آية(٣)

أى اقرب ألا تجوروا

وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ كانتْ له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يومَ القيامةِ وشِقُّه مائلٌ) رواه ابو داوود وغيره

ولا تعارض بين ما أوجبه الله من العدل في هذه الآية وبين ما نفاه الله في الآية الاخرى من سورة النساء وهى: **(ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة)** سورة النساء/١٢٩

فان العدل المطلوب هو العدل الظاهر المقدور عليه وليس هو العدل في المودة والمحبة فان ذلك لا يستطيعة احد بل العدل المنفى هو العدل في المحبة والمودة والمباشرة الجنسية فان ذلك لا يملكه أحد وقد ينشط للواحدة مالا ينشط للأخرى وقد كان النبي صلى الله علية وسلم

يقسم بين نسائه فيعدل ويقول (اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) .[1]

العدل بين الاولاد:

وقد أوجب الاسلام العدل بين الاولاد ونهى عن التفضيل بينهم فى الملك والهبه لان تفضيل بعضهم على البعض الآخر يفضى الى العقوق ويفسد ذات البين ويقطع الصلات التي أمر الله بها ان توصل.

فعن النعمان بن بشير: ان اباه اتى به رسول الله ﷺ فقال: انى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى فقال النبى ﷺ (اكل ولدك نحلت مثل هذا ؟ فقال: لا ٠ فقال الرسول ﷺ: فأرجعة)رواه البخارى ومسلم

وفى رواية مسلم انه قال: (اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم) وفلى رواية اخرى له (فلا تشهدونى اذا فإني لا أشهد على جور)[2] علي جور أي ظلم.

العدل في القوة والشهادة والكتابة:

اما العدل في القوة فقد قال الله تعالى (قال تعالى: " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى " (الأنعام: ١٥٢))

---

[1] انظر عناصر القوة فى الاسلام ت السيد سابق ص (١٥٧ . ١٥٩)

[2] عناصر القوة فى الاسلام ت / السيد سابق ص ١٥٩

والعدل في الشهادة فقد قال سبحانه: (**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ**) [الطلاق آية:٢]

والعدل في الكتابة من قولة تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ**) [البقرة آية٢٨٢]

العدل بين المتخاصمين:

واذا وقع بين طوائف المسلمين خصام أدى الى القتال وجب على طائفة محايدة من المسلمين أن تتدخل لحسم هذا النزاع والقضاء على هذه الخصومة بالصلح بينهما على ان يقوم هذا الصلح على اساس الحق والعدل).[١]

قال تعالى ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾

[الحجرات: ٩]

[١] عناصر القوة فى الاسلام ت / السيد سابق ص ١٦٠

العدل مع الاعداء:

والعدل يجب ان يكون بين الناس جميعاً من غير تفرقة بيم قوى وضعيف ولا بين ابيض ولا اسود ولا بين عربي وعجمي ولا بين مسلم وغير المسلم ولا بين حاكم ومحكوم

فالعدالة لا تفرق بين الألوان ولا الأديان ولا تعترف بالفوارق والفواصل بين الناس يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)المائدةآية(٨) أي ولا يحملن بغضكم لقوم ان تتركوا العدل معهم وتظلموهم بسبب بغضكم لهم بل يجب ان تكونوا عادلين في كل المواطن حتى مع اعدائكم وفى هذا يقول الخليفة الاول ابوبكر الصدييق رضى الله عنه (القوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له).[١]

العدل في الوصية قبل الموت:

روى أبو داوود عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى، حاف في وصيته، فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة» قال أبو

[١] نفس المرجع السابق ص ١٦١

هريرة اقرؤوا إن شئتم { تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ } . إلى قوله . { عَذَابٌ مُّهِينٌ }النساء/١٣-١٤

كلمه عدل عند سلطان ظالم:

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال {إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر} رواه الترمذي وصححه الألباني

بعض آيات القسط في القرآن الكريم:

١. الله تعالى قائم بالقسط أي بالعدل قال تعالي(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)آل عمران آية ١٨

٢. المقسط معرض للابتلاء والمحنة: وقد تصل الى قتله لانه يعشق العدل ويكره الظلم قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)آل عمران آية ٢١

القسط في المعاملات:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ**﴾ [البقرة /٢٨٢]

وقال تعالى: ﴿ **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ [الرحمن:٩]

القسط فى اموال اليتامى:

قال تعالى ﴿ **وأن تقوموا لليتامى بالقسط**﴾ [النساء: ١٢٧]

تحريم التبنى من القسط:

قال تعالى: ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ [الاحزاب: ٥]

الله تعالى يأمر بالقسط:

قال تعالى ﴿ **قل أمر ربى بالقسط**﴾ [الاعراف: ٢٩]

قال تعالى ﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة: ٤٢]

القسط يوم القيامة:

يوم لا يظلم فيه احد لان الذى يفصل بين الناس رب العالمين سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وقال تعالى ﴿ **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ** ﴾ [يونس: ٤]

المصري وابن عمرو بن العاص:

بينما عمر بن الخطاب جالس اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا امير المؤمنين: هذا مقام العائذ بك فقال: عمر لقد عذت بمجير فما شأنك ؟ قال: سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص فسبقته فجعل يقمعني بسوطه ويقول: انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمراً اباه فخشى ان آتيك فحبسنى فى السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص وهو امير على مصر (اذا آتاك كتابي هذافاشهد الموسم انت وولدك فلان)

وقال للمصري: اقم حتى يجئ فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر بالدرة وضربة فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربة وعمر يقول: اضرب ابن الاكرمين فقال يأمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلعة عمرو قال يا امير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى قال اما والله لو فعلت ما منعك احد حتى تكون انت الذى تنزع ثم قال لعمرو (ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا).[1]

[1] منهاج المسلم للجزائرى ص ١٧٩

عدلت فنمت:

روى ان قيصرا أرسل الى عمر بن الخطاب رسولا لينظر احواله ويشاهد افعاله فلما دخل المدينة سأل عن عمر بن الخطاب وقال: أين ملكم ؟ فقالوا: مالنا ملك بل لنا امير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج فى طلبة فرأه نائما فوق الرمل وقد توسد درتة وهى عصا صغيرة كانت دائما بيده يغير بها المنكر ٠ فلما رأه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك ياعمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجورأي يظلم فلا جرم انه لا يزال ساهرا خائفاً).[١]

ثمرة القسط والعدل:

١. القسط والعدل يستوجب محبه الله ورضوانه وكرامته وانعامه اذا اخبر انه يحب المقسطين

٢. كرامه المقسطين عند ربهم لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص –رضى الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا[١]، رواه مسلم.)

[١] اخبار عمر تأليف على الطنطاوي وناجى الطنطاوي ص (٣٢٧ . ٣٢٨) ومنهاج المسلم للجزائرى ص ١٨٠

٣. القسط يضمن الحقوق ويحفظ الامانات

٤. يكسو صاحبه نورا يوم القيامة

٥. الحفاظ على سلامة المجتمع قال شيخ الاسلام ابن تيمية (ان الله يقيم الدولة العادلة ان كانت كافرة ولايقيم الدولة الظالمة وان كانت مسلمة).[١]

وكما جاء في الامثال (من جعل العدل عدة طالت به المدة) وقال رسول الله ﷺ (لا يقدس الله أمةلا يقضى فيها بالحق ويأخذ الضعيف حقة من القوى غير متعتع) رواه الطبرانى عن معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهما

٦. بالعدل يجاب الدعاء وبالجور يرد هذا الدعاء كما قال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين) رواه الترمذي وابن ماجة

وبالعدل تملك سرائر الرعية ويكون الصدق في النصيحة وبالجور تملك الاجساد فقط ويكون التملق والنفاق فقد قالوا: (من قام من الملوك بالعدل والحق ملك سرائر رعاياه ومن قام

[١] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ص (١٤٦/٢٨)

فيهم بالجور والقهر لم يمتلك الا الأجساد ولم يرا الا المتصنع والقلوب عليه مختلفة فان السرائر تطلب من يمتلكها بالإحسان)[1]

٧. وبالعدل تكون الجنة وبالجور تكون النار وبالعدل تكون شفاعته صلى الله علية وسلم وبالجور يكون الحرمان من هذه الشفاعة وبالعدل تكون المعية والعون والمدد الرباني وبالجور يكون الخذلان والترك الي النفس).[2]

[1] فصول فى الامرة والامير للشيخ سعيد حوى ص ١٣٨

[2] انظر: توجيهات نبوية السيد نوح ص ١٤٧ . ١٤٩ وانظر: نضرة النعيم (٣١٦٠/٨)

الباب الرابع: المتبعون لرسول ﷺ

- تمهيد
- الاتباع لغة واصطلاحا
- معنى اتباع الرسول ﷺ
- حقوق الرسول ﷺ على أمته
- علامات المتبعين لرسول الله صلى الله علية وسلم
- اتباع المهاجرين والانصار لرسول الله صلى الله علية وسلم
- ساعه العسرة
- وجوب اتباع اهل الكتاب للرسول صلى الله علية وسلم
- فوائد اتباع الرسول صلى الله علية وسلم

الباب الرابع: المتبعون لرسول الله ﷺ

تمهيد:

بين الله سبحانه في كتابة الكريم محبته للمتبعين للرسول صلى الله علية وسلم بل جعل اتباع الرسول صلى الله علية وسلم شرطا لنيل محبة الله سبحانه فقال تعالى

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)آل عمران آية(٣١)

فاذا كان العبد يحب الله تعالى فدليل هذا الحب أن يتبع المصطفى ﷺ وثمرة اتباع الرسول ﷺ هي محبة الرب لعبدة (يحببكم الله) فسهل ان يدعى المرء محبة الله او ان تذكرها الألسنة ولكن الشأن كل الشأن ان يحبك الله ولن يكون ذلك الا باتباع الرسول صلى الله علية وسلم

وقد علم صحابة رسول الله صلى الله علية وسلم ومن تابعهم بإحسان ان كل الطرق مسدودة الا طريق رسول الله صلى الله علية وسلم وان المحبة الصادقة تستوجب الاتباع ولذلك قال الحسن ادعى قوم محبه الله فابتلاهم بهذه الآية

)قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)ال عمران(٣١(

ساق ابن العربي بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: سمعت مالك بن أنس – وأتاه رجل – فقال: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟ قال: من ذى الحليفة- من حيث أحرم رسول الله {ﷺ}، فقال: إنى أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل. قال: إنى أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل فإنى أخشى عليك الفتنة. قال: وأيّ فتنة فى هذا؟ إنما هي أميال أزيدها. قال:

وأيّ فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ! إني سمعت الله يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم). [النور /٦٣]

الاتباع لغة واصطلاحاً:

الاتباع لغة:

مصدر اتبع المأخوذ من مادة (ت ب ع) وتدل هذه المادة على التلو والقفو ٠٠٠٠ والاتباع في الاصل اقتفاء اثر الماشي ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير.[1]

الاتباع اصطلاحا:

[1] نضرة النعيم، ٢/ ١٠.

قال الامام احمد رحمه الله هو ان يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه ثم هو من بعد في التابعين مخير).[1]

معنى اتباع رسول الله ﷺ:

اذا كانت الاتباع كما سيق هو اتباع النبي ﷺ فيما جاء عنه وعن أصحابه فما جاء عنه امران:

القرآن: بوصفة وحيا من الله تعالى الى النبي صلى الله علية وسلم والسنه النبوية المطهرة وكل ما جاء بالقرآن ملزم الاتباع حيث انه يحتوى على المنهج الكامل لحياة المجتمع الإسلامي وبالتالي فهو يشمل كل ما يحتاجه هذا المجتمع وما يحتاجه الانسان في حياته ٠

من عقائد واخلاق واحكام عملية تتصل بالعبادات والمعاملات التي تنظم علاقة الانسان بأمثاله وبالمجتمع وبالأمم والعالم ٠

اما السنه النبوية فقد جاءت مكملة للفران واوجب الله على الناس طاعة الرسول في قبول ما شرعة لهم وامتثال ما يأمرهم به وبنهاهم عنه ٠
اذن واجب للرسول صلى الله علي وسلم على الامه امران

الاول: الطاعة فيما اتى به

الثاني: ان يبلغوا عنه ما اخبرهم به).[1]

---

[1] المرجع نفسه، ٢/ ١٠

والسنه اقوال وافعال وتقريرات وكل الاقوال والتقريرات من الدين وحجة على المسلم أن يتبعها والافعال منها

ومنها ما يتصل بمقتضى الجبلة البشرية او بمقتضى العادات الجارية كالملبس والمأكل والمشرب ٠٠٠٠٠ وهذا يخضع لمقتضى الطبيعة الانسانية)

(لذلك قال سهل ين عبدالله: علاقة حب الله حب القرآن وعلاقة حب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي ﷺ حب السنه وعلامة ذلك كله حب الاخرة).[٢]

وقال الأوزاعي رحمة الله عليه: ندور مع السنه حيث دارت).[٣]

وقال ايو عثمان الحيرى: من امر السنه على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسة قولا وفعلا نطق بالبدعة قال تعالى (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ ﴾ . [النور: ٥٤][٤]

---

[١]نضرة التنعيم (١٣/٢)

[٢]تفسير القرطبي (٤٠/٤(٢- ١

[٣]نضرة النعيم (٤٠/٢)

[٤]المرجع السابق ص٤٠/٢

بل عد بعض العلماء الرجل الحقيقي هو الذى يتمسك بالكتاب والسنة قال ابو حفص: (من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال).[1]

قال سهل بن عبدالله التستري: ما احدث أحد في العلم شيئا إلا سئل عنه يوم القيامة فان وافق السنه و إلا فلا).[2]

لماذا اتباع الرسول صلى الله علية وسلم ؟

لماذا اختار الله لنا اتباع نبينا محمد صلى الله علية وسلم طريقا لمحبته سبحانه قال ابن قيم الجوزية بعد ان حمد الله

تعالى (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحدا أحدا فردا صمدا ٠٠٠٠ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائم له بحقة وامينه على وحية وخيرته من خلقه

أرسله رحمة للعالمين وإماما للمتقين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد أجمعين بعثة على حين فترة من الرسل فهدى به الى اقوم الطرق واوضح السبل ٠ وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه وسد الى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه

---

[1] المرجع السابق (٢/٤٠

[2] الفتح(١٢/٢٩٠

فشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكرة وجعل الذل والصغار على من خالف امره واقسم بحياته في كتابة المبين.[1]

وقرن اسمه باسمه فلا يذكر الا ذكر معه كما في التشهد والخطب والتأذين ٠ فلم يزل صلى الله علية وسلم قائما بأمر الله لا يرده عنه راد مشمرا في مرضاة الله لا يصده عن ذلك صاد الى ان اشرقت الدنيا برسالته ضياء وابتهاجا ودخل الناس في دين الله افواجا وسارت دعوته٠

مسير الشمس في الاقطار وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار).[2]

حقوق الرسول ﷺ على امته:

الحق الاول: الايمان برسالته:

نؤمن به ونصدق رسالته امرنا الله بذلك فقال (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)التغابن آية(٨) يعنى القرآن

وقال تعالى (﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]

الحق الثانى: طاعته

---

[1] يشير الى قولة تعالى في سورة الحجر (لعمرك انهم لفي سكرتهم بعمون) اية٧٢

[2] اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ت/ ابن قيم الجوزية ص ٤ الجزء الاول الناشر / دار المعرفة بيروت . لبنان

امر الله بطاعته وجعل فيها الاجر ونهى عن معصيته وجعل فيها العذاب فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) [النساء: ٨٠] وقال تعالى (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) [الانفال: ١]

اما اذا كان الفعل اطيعوا متكررا كقولة تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) [النساء /٥٩]

هذا التكرار يفيد على ان للرسول صلى الله عليوة وسلم نوع استقلال من الطاعة لا يثبت لغيره من البشر ٠

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله وسلم قال: كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى:

قيل ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[١]

ومن حقة صلى الله علية وسلم / ثالثا ان نتبعه وقد جعل الله تعالى اتباعه في الخير بعد ان امر بالإيمان به قال تعالى فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الاعراف: ١٥٨]

[١] رواه البخاري

فاتباعه سبب للهداية فمن لم يتبعه لا يصير من المهتدين ٠ واتباع الرسول ﷺ يكون بالسير على نهجة والسير على منواله وعلى سنته وفعل ما امر وترك ما نهى عنه.

ومن حقة صلى الله علية وسلم رابعاً ان نتأسى به يعنى اتخاذه اسوة وقدوة قال تعالي(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [الاحزاب: ٢١]

وقال تعالى: ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [الحشر:٩]

علامات المتبعين للرسول الله صلى الله علية وسلم:

العلامة الاولى: أنهم يحبونه والثانية انهم يطيعونه والثالثة انهم يعملون بما يعمل به ومن جملة ما يعملوا به الدعوة الى ما دعا اليه فدعوة نبينا صلى الله علية وسلم . دعوة الى الله دعوة الى دين الله والى توحيده والى شريعته دعوه الى ترك الشرك بجميع انواعه صغيرة وكبيرة خفيه وجليله

قال تعالى (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨]

وكان ابو العباس بن عطاء يقول: من ألزم نفسة بآداب السنه عمر الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بأدبة).[1]

اتباع المهاجرين والانصار الرسول صلى الله علية وسلم فى ساعة العسرة:

بين الله سبحانه وتعالى موقفا عظيما للمهاجرين والانصار واتباعهم لأوامر الرسول صلى الله علية وسلم مهما كانت الظروف والاوقات

قال تعالى: ((لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم)التوبة/آية (١١٧)

نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك انهم خرجوا اليها في سنة مجد به وحر شديد وعسر من الزاد والماء عن عبدالله بن عباس قال: قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر: خرجنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى ان رقبته ستنقطع وحتى أن الرجل لينحر بعيره فبعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال ابو بكر: يا

[1] هيا بنا نؤمن ساعة ت د / سعيد عبدالعظيم ص ١١٦

رسول الله (ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فقال له تحب ذلك ؟

قال: نعم (فرفع يدية فلم يرجعها حتى سالت السماء فاهطلت ثم سكنت فملوؤا ما معهم

ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر)[1]

لذلك بين الله تعالى انه حسبهم أي كافيهم ومؤيدهم على عدوهم

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال/٦٤

قال الشعبى: حسبك الله وحسب من شهد معك)[2]

وجوب اتباع أهل الكتاب للرسول ﷺ:

يجب على اهل الكتاب ان يتبعوا الرسول صلى الله علية وسلم ويؤمنوا به ٠

[1] اخرجة بن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما من مختصر نفسير ابن كثير للشيخ محمد على الصابوني ص ١٤٠ الجزء الثاني ط المكتبة العصرية . صيدا . بيروت ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦م

[2] مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ص (٩٢/٢)

قال تعالى: _ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)الاعراف آية (١٥٧)

جاء في التفسير وهذه صفه محمد في كتب الأنبياء

بشروا اممهم ببعثته وامروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم واحبارهم).[١]

وروى ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو فقلت: اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وصلم فى التوراة قال: اجل والله انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)

وحرزا للأميين انت عبدى ورسولى اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا: لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا واذنا صما واعينا عميا وقد رواه البخاري في صحيحة وزاد بعد قوله

[١] مختصر تفسير ابن كثير ص (٤٢/٢

(ليس بقظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[1]

لذلك قال رسول الله صلى الله علية وسلم (والذى نفسى بيده لو ان موسى ﷺ كان حيا ما وسعه الا ان يتبعنى)راه احمد وحسنه الألباني

وقال تعالى: فيما حكاه عيسى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ)الصف/٦

واعلم الله تعالى جميع الانبياء ببعثته وامرهم بتبليغ اتباعهم بوجوب الايمان به واتباعه ان هم ادركوه كما قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)ال عمران آية (٨١)

فعليك ايها المحب ان تلزم الطريق ولا تلتفت يمينا او شمالا انه طريق النبي ﷺ بان تلتزم سنته وطريقته وان تهتدى بهدية فذلك دليل المحية باتباع الرسول ﷺ والتمسك بدينة والعمل به وبذلك ننال محبة الرحمن الرحيم ٠

[1] المرجع السابق (٤٤/٢)

واليكم فوائد اتباع الرسول صلى الله علية وسلم:

١. دليل المحبة الكاملة ويجلب محبه الله لعبده

٢. الاتباع مجلبة لرحمة الله تعالى ومفقرته ورضوانه

٣. الاتباع دليل الفلاح والهداية وقبول التوبة

٤. ضمان السلامة والامن من الخطأ لعصمة المتبوع

٥. يجلب التاييد والنصر والتمكين والعزة والفلاح

٦. يحصل للعبد السعادة وطيب العيش في الدارين[١]

[١] انظر نضرة النعيم (٤١/٢)

الباب الخامس: الصابرون

- تمهيد
- الصبر لغة واصطلاحا
- مراتب الصبر
- الصبر ضياء
- امرأة تصبر على الصرع
- الصبر على فقد نعمه البصر
- صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله
- مراتب الصابرين
- الصبر مع انتظار الفرج
- الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل
- فوائد الصبر وعواقبه
- مجالات متنوعه تحتاج الى صبر
- الاسباب التي تعين على الصبر
- صور من حياة الصابرين
- خاتمة منزلة الصبر

الباب الخامس: الصابرون

تمهيد:

ورد حب الله تعالى للصابرين فى القرآن الكريم مرة واحدة وهى قوله تعالى (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)آل عمران آية(١٤٦)

لذلك وجب عليك ابها المحب ان تتعلق بالصبر وتتعرف عل معناه لتكون من أهلة (قال الامام احمد رحمة الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا وهو واجب بإجماع الامه وهو نصف الايمان).[١]

فان الايمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر وقد تامر الله سبحانه فقال في كتابة الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [البقرة: ١٥٣]

وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿اصبروا وصابروا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

[١] تهذيب مدارك السالكين ص ٣٥١

بل امر حبيبه ورسوله صلى الله علية وسلم بالصبر فقال ﴿واصبر وما صبرك الا بالله ﴾ [النحل: ١٢٧]

ولذلك قال على: (الا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال: ألا لا ايمان لمن لا صبر له).[١]

الصبر لغة واصطلاحا:

الصبر لغة: التجلد وحسن الاحتمال وعن المحبوب: حبس النفس عنه وعلى المكروه احتماله دون جزع وقالوا:

قتله صبرا: حبسه حتى مات وشهر الصبر: شهر الصوم لما فيه من حبس النفس عن الشهوات

صبره: دعاه الى الصبر وتصبر: حمل نفسة على الصبر وتكلف الصبر والصبار: الشديد الصبر وفى التنزيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]

ونبات صحراوي عصارته شديدة المرارة وأوراقه عريضة تخينة دائمة الخضرة كثيرة الماء فيها أشواك.[٢]

---

[١] نضرة النعيم/٦/٢٤٤٣

[٢] المعجم الوسيط (٥٠٦/١) طبعة دار الامواج بيروت لبنان ١٤١٠ هـ. ١٩٩٠ م

الصبر اصطلاحاً:

حبس النفس على ما تكره او احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم.[1]

وقيل: حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويس.[2]

للصبر مراتب هي:

١. الصبر على طاعه الله عز وجل

٢. الصبر عن معصية الله عز وجل

٣. الصبر على اقدار الله وقضائه دون تبديل او تغيير

فالصبر على طاعة الله ان يحبس الانسان نفسه على العبادة ويؤديها كما أمره تعالى وان لا يتضجر منها او يتهاون بها

---

[1] منهاج المسلم للجزائرى ص ١٦٦

[2] تهذيب مدارك السالكين ص ٣٥٣ وقيل حبس الجوارح عن لطم الخود وشق الثياب ونحوها عدةالصابرين لابن قيم الجوزية ص ٢٧

واما الصبر عن معصية الله فان يحبس الانسان نفسة عن الوقوع فيما حرم الله عليه ويحبسها دون معاصي الله عز وجل فلا يسمح لها باقترابها

واما الصبر علي اقدار الله فمعناه ان يستسلم لما يقع عليه من البلاء والهموم والاسقام وان لا يقابل ذلك بالتسخط والتضجر).[1]

اكمل مراتب الصبر:

ولا شك ان اكمل هذه المراتب وارفعها انما هو الثالث لان الانسان قد يترك المعصية زمانا ما وكذلك قد يفعل الطاعة زمانا ولكن ان يستمر على ذلك الى اخر الزمان مع الرضا بقدر الله وفضائه دون تغيير او تبديل فهو دليل صدق العزيمة وعلو الهمه وقوة الارادة والطمع في رضا الله ومثوبته

كما لا شك ان الصبر علي الطاعة اكمل من الصبر عن المعصية لان الجهد المبذول في الصبر عن المعصية هو مجرد الترك وهو ان كان شاقا الا ان الا شق منه هو بذل الجهد في الطاعة).[2]

---

[1] الضياء اللامع ت الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١١٠ الطبعة الثالثه دار عكاظ جدة ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ومنها ج المسلم للجزائرى ص ١٦٦

[2] توجيهات نبوية على الطريق ت د/ السيد نوح ص (١٦٩/٣)

الصبر ضياء:

وصف جميل من رسول الله ﷺ: (والصبر ضياء)رواه مسلم والترمذي

ودلالة هذا الوصف تتضح اكثر عندما تتذكر لحظات قاسية في حياتك كفقدان حبيب او حرمان من وظيفة او خسارة تجارية او حادث مروع ٠٠٠٠ كل هذه المواقف اخى القارئ لو مررت بأحدها . عافاك الله منها جميعاً

لا حظت ان حالة من التخبط تسيطر عليك تشعر بالعجز وعدم القدرة على التصرف ٠ رغم ان ذلك قد يكون سهلا وميسورا لو ترويت قليلا وحاولت تفسير الحدث ولكن الذى يحدث غير ذلك تماما فهول المصيبة وجسامة الحدث ينشران غمامة سوداء حول العين تحيل بينه وبين رؤية القرار الصائب او التصرف الصحيح

والصبر هو الضياء ومصدر النور الذى يشع، فيبدد ظلمات المكاره ومدلهمات الكروب فيعطى صاحبه الفرصة للتروي والتمهل لا تخاذ القرار المناسب فلا ييأس عند تأخر النتائج ولا يجزع عند نزول المصيبة ولا يركن او يستسلم لكثرة الاعباء والكبار بستفيدون من هذا الضياء متى نزل بهم المصاب او حدث لهم ما يكرهون)[1]

[1] موقع / اخوان اون لاين مقاله بقلم / محمد عبده

لذلك فالذي يصبر بمجرد نزول البلاء هو الذى امتلاء قلبة بالنور وافلح في الدنيا والآخر اما الذى يجزع ولا صبر فقد خسر كثيرا فقد روى الشيخان عن انس رضى الله عنه قال (مر النبي صلى الله علية وسلم بامرأة تبكى عند قبر فقال: (اتقى الله واصبرى فقالت: اليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفة فقيل لها: (إنه النبي صلى الله علية وسلم فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: انما الصبر عند الصدمة الاولى) وفى رواية لمسلم (تبكى على صبى لها)

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى (ما لعبدى المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) رواه البخاري.

اما الذى يجزع ولا يصبر فقد خسر كثيرا فقد روى الشيخان عن انس رضى الله عنه قال (مر النبي صلى الله علية وسلم بامرأة تبكى عند قبر فقال: (اتقى الله واصبرى فقالت: اليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفة فقيل لها: (إنه النبي صلى الله علية وسلم فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: انما الصبر عند الصدمة الاولى) وفى رواية لمسلم (تبكى على صبى لها)

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى (ما لعبدى المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) رواه البخاري

امرأة تصير على الصرع:

عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ قالت: إني أُصرع، وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك". قالت أصبر، قالت: فإني أتكشّف، فادع الله أن لا أتكشّف، فدعا لها.) اسم هذه المرأة "أم زفر".

فقالت: اصبر فقالت: انى اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها) متفق عليه

فهذه المرأة عندما خيرها الرسول صلى الله علية وسلم بين الصبر ولها الجنه وبين الدعاء لها فتشفى بإذن الله اختارت الصبر ٠فعلمت الامة درسا في الصبر ولكنها طلبت عدم التكشف وهي حرصها علي ستر بدنها وشتان بين هذه المرأة المؤمنة ونساء مسلمات يظهر من أجسادهن من العورات أكثرمما تستره الملابس .الأمر الأخرهذه المرأة السوداء ولايضرها لونها فالله سبحانه وتعالي لا ينظر الي ألواننا ولا الي صورنا انما ينظر الي قلوبنا هل هذا القلب عامر بالايمان أم لا

الصبر علي فقد نعمة البصر:

والمسلم المبتلى بفقد عينيه سواء ولد أعمي أو كف بصره بعد ولادته اذا صبر علي هذا البلاء وعده الرسول صلي الله عليه وسلم بالجنة

عَنْ أَنسٍ رضى الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: إنَّ اللَّه عز وجل قَالَ:"إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجنَّةَ يُرِيدُ عينيْه، رواه البخاريُّ.

وللأسف في زمامنا نجد بض الناس يسخرون ممن فقد بصره وينادونه بلفظ الأعمى أو الأعور وعلى العكس فبعض الصالحين ينادون الأعمى بلفظ بصير أو كفيف وهو لفظ جميل أفضل من قول بعضهم ياأعمي. ولذلك من ابتلي بالعمي فعليه بالصبر لينا ل الجنة

ما الفرق بين: صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله ؟

] الصَّبْرُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ وَمَعَ اللَّهِ[

وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ بِاللَّهِ. وَصَبْرٌ لِلَّهِ. وَصَبْرٌ مَعَ اللَّهِ.

فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧] يَعْنِي إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

وَالثَّانِي: الصَّبْرُ لِلَّهِ. وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ. وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ. لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادَ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ.

وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ. وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ. وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ. صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا. مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا. يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا. وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا.

فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللَّهِ؛ أَيْ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا عَلَى أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ. وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبِهَا. وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ.

قَالَ الْجُنَيْدُ: الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ. وَهِجْرَانُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللَّهِ شَدِيدٌ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللَّهِ صَعْبٌ شَدِيدٌ. وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ أَشَدُّ وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ؟ فَقَالَ: تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّسٍ وَقِيلَ: تَعْوِيدُ النَّفْسِ الْهُجُومَ عَلَى الْمَكَارِهِ..

وَقِيلَ: الْمُقَامُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، كَالْمُقَامِ مَعَ الْعَافِيَةِ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: هُوَ الثَّبَاتُ مَعَ اللَّهِ، وَتَلَقِّي بَلَائِهِ بِالرَّحْبِ وَالدَّعَةِ..

وَقَالَ الْخَوَّاصُ: هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).[1]

هناك فرق بين الصبر والرضا ، فرق في التعريف ، وفرق في الحكم.

[1] تهذيب مدارج السالكين ص(٣٥٤-٣٥٥)

أما الحكم ، فالصبر واجب ، بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه ، ويعرض نفسه بهذا لعقوبة الله تعالى.

وأما الرضا ، فهو درجة أعلى من الصبر ، وهي درجة السابقين بالخيرات ، ولذلك كانت مستحبة وليست واجبة ، فلا يأثم المسلم إذا لم يصل إليها ، غير أنه مطالب بمجاهدة نفسه والشيطان حتى يصل إلى تلك الدرجة العالية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل: مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب ، وقد قيل: إنه واجب ، والصحيح أن الواجب هو الصبر" انتهى .[1]

مراتب الصابرين:

للصابرين مراتب هي:

١- المتصبر: وهو الذى يتكلف الصبر ويعمل علي حمل نفسه عليه

٢- المصطبر: وهو الذي اكتسب الصبر فصار سجية له وخلقا.

٣- الصبور:- وهو العظيم الصبر بحيث يفوق صبره صبر غيره

٤- الصبار:- الكثير الصبر كأنه قد روعي في تعريف الصبور الوصف والكيف وقد روعي في تعريف الصبار القدر والكم

[1] مجموع الفتاوى، ٦٨٢/١٠

٥- الصابر: وهو الوصف العام أو الجامع لكل ما تقدم.[١]

٦- المصابرة: فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة قال تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا)ال عمران اية (٢٠٠)

فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة وهي الثبات واللزوم والاقامة علي الصبر والمصابرة .....ثم أخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه الظاهر فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوي والشيطان فيزيله عن مملكته).[٢]

وقيل اصبرواعلي النعماء وصابرواعلى البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء.)[٣]

أعلى مراتب الصبر والصفح والهجر

---

[١] توجيهات نبوية علي الطريق (١٦٩/٣-١٧٠

[٢] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين /ت/ ابن قيم الجوزية ص/٣٧

[٣] تهذيب مدارج السالكين ص/٣٥٥

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: "الصبر الجميل: هو الذي لا ضجر فيه ولا ملل" وذلك أن الإنسان قد يصبر، لكن الصبر الجميل درجة أعلى، وهي التي لا ضجر فيها ولا ملل ولا تسخط .

قال: "والهجر الجميل: هو الهجر الذي لا أذية فيه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب فيه ."

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون صاحبه في الذروة وفي القمة من التحلي بهذه الصفات ولاسيما الصبر .

وهذه الأعمال –الصبر والصفح والهجر– لها درجة عليا، وهي التي كان النبي ﷺ متحلياً بها، فكان صبره ﷺ من الصبر الجميل، وهجره من الهجر الجميل، وصفحه من الصفح الجميل، فبعض الناس قد يصبر ويصفح ويهجر، لكن لا يصل إلى هذه المرتبة، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قائم مقام النبي ﷺ، فينبغي له أن يتحلى بأعلى المراتب في هذه الصفات وفي غيرها من الآداب.

الصبر مع انتظار الفرج من أعظم العبادات:

قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله: الصبر مع انتظار الفرج يُعتبرُ من أعظم العبادات، لأنك إذا كنت تنتظر الفرج، فأنت تنتظرُ الفرج من الله عز وجل، وهذه عبادة، وقد قال النبي علية الصلاة والسلام: (واعلم

أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب) فكلما اكتربت الأمور فإن الفرج أقرب إليك، (وإن مع العسر يُسرًا)

الصبر كنز من كنوز الجنة:

قال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة، لا يعطيه الله إلا لمن كرم عليه خير العيش: الصبر

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: وجدنا خير عيشنا الصبر.

·وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

·كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر:

قال سليمان بن القاسم رحمه الله: "كل عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر " قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] قال: كالماء المنهمر.

ما الفرق بين الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل

الصّبر الجميل الذى لا شكوى معه، والصّفح الجميل الَّذى لا عِتاب معه، والهجرِ الجميل الذى لا أَذى معه.

وقال ابن عُيَيْنَة فى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ}: أَخذوا برأْس الأَمر فجعلهم رُءُوسًا[1]

هل الشكوي الى الله تتنافي مع الصبر ؟

واعلم أَنَّ الشكوى إِلى الله عزَّ وجلّ لا تُنافى الصّبر؛ فإِنَّ يعقوب – عليه السلام – وَعَد بالصّبر الجميل، والنبي إِذا وَعَدَ لا يُخلف، ثمّ قال: {إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله} ، وكذلك أَيّوب عليه السّلام أَخبر الله عنه أَنه وجده صابرًا مع قوله: {مَسَّنِيَ الضر وَأَنتَ أَرْحَمُ الراحمين} ، وإِنَّمَا ينافى الصبر شكوى الله لا الشكوى إِلى الله؛ كما رأَى بعضهم رجلاً يشكو إِلى آخر فاقةً وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يَرْحَمُكَ إِلى مَنْ لا يرحمك! ثمّ أَنشده:

وإِذا اعْتَرَتْكَ بليّةٌ فاصبِر لها ... صَبْرَ الكريمِ فإِنَّه بك أَرحمُ

وإِذا شكوتَ إِلى ابن آدم إِنّما ... تشكو الرّحيم إِلى الَّذى لا يرحم.[2]

فوائد الصبر وعواقبه

اعلم أن الصبر رغم مرارته إلا أن عاقبته أحلى من العسل كما قيل:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته .. لكن عواقبه أحلى من العسل

---

[1] تهذيب مدارج السالكين ص/٣٥٦

١- [2] نفس المرجع السابق /٣٥٦

فمن فوائد الصبر وعواقبه الجميلة:

أولها: إعانة الله للصابرين ومعيته معهم: {واصبروا إن الله مع الصابرين)الانفال/٤٦.{

ثانيها: نوال الخير الكثير والفضل الكبير: {ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)النحل/١٢٦.{

ثالثها: الثواب الذي لا يحد والأجر الذي لا يعد: {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)الزمر/ ١٠.{

رابعها: رفع الدرجات ومحو السيئات ومغفرة الخطيئات ففي الحديث " بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِه وولدِه ومالِه ما يزالُ البلاءُ حتَّى يلقَى اللهَ تعالَى وما عليه خطيئةٌ." أخرجه الترمذي

خامسها: صلوات الله ورحماته وهدايته: {وبشر الصابرين . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ.أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥. ١٥٧]

سادسها محبة الله لهم: {والله يحب الصابرين).

سابعها: العوض في الدنيا والخلف في الآخرة فأما في الدنيا فيجعلهم أئمة الهدى {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)السجدة /٢٤

سابعها خير عطاء من الله للمؤمن كما ورد في الصحيحين قال النبي ﷺ: (وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)

ثامنها الاستقامة على شرع الله والثبات على الدين والحذر من سوء الخاتمة والوقاية من الانحرافات والسلامة من الشرور

وتاسعها لذة الإيمان وحلاوته لمن صبر على ترك المعاصي قال ابن تيمية: (وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدغل في الزرع.(

وأما في الآخرة: فلهم جنات عدن يدخلونها.. قال تعالى: {إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون)المؤمنون/١١١.{

قال الحافظ ابن حجر:" الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليه"

مجالات متنوعة تحتاج الى صبر:

أولا: بلاء الدنيا

بلاء الدنيا ونكبات الأيام لايخلو منه بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر .فلا يسلم أحد من آلام النفس وأسقام البدن وفقدان الأحبة وخسران المال وايذاء الناس ومتاعب العيش وكل ذلك يحتاج الي الصبر

قال تعالي (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمَوَالِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ البقرة

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.) والوصب أي المرض

وروي الترمذي عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد. والحديث حسن كما ذكر الألباني.

ثانيا: مشتهيات النفس

ومما يواجهه الإنسان فى الدنيا حينما تظهر الدنيا كالحسناء اللعوب وتتطلع النفس إلى الملذات ويزين الشيطان الشهوات هنا يأتي دور الصبر وهذا لون جديد من الإبتلاء إنه إبتلاء بالسراء لا بالضراء وبالغنى لا بالفقر قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)الأنبياء/٣٥ «وعن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ قال ابتُلِينَا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بالضَّرَّاءِ فصَبَرْنا، ثم ابتُلِينا بعدَه بالسَّرَّاءِ فلم نَصْبِرْ» رواه الترمذى

فالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة أحوج مايكون فيها الإنسان إلى الصبر أولاحتى لايغتر بها ولا تحمله علي البطر والأشر والظلم وثانيا: يصبر على أداء حق الله فيها ولايضيعه فيسلبها منه الله تعالي وثالثا:أن يصبر عن صرف هذه النعم في الحرام.

ثالثا: الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين

فالمؤمن حقا هو الذى يعتز بما آتاه الله من نعمة الهداية إلى الإيمان والتوفيق إلى الطاعة ويعلم أن المال ظل زائل وعارية مستردة ولايبالي بمظاهر الأبهة والزينة التي يتمتع بها أصحاب الثروة والسلطان .

لذلك فتن فريق من قوم موسى بقارون عندما خرج على قومه فى زينته وفخامة موكبه (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) القصص

(٧٩)أما موقف أهل العلم والإيمان وذوي ا لبصيرة والصبر فهو ما ذكره القرآن الكريم (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) القصص (٨٠)

ثالثا: الصبر على مشاق الدعوة

(وإذا كان الصبر ضروريًّا لأيّ إنسان، لا سيما للمسلم، فإنَّ الصبر للداعي المسلم أشدّ ضرورة له من غيره؛ لأنَّه يعمل في ميدانين: ميدان نفسه؛ يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه، وهو ميدان الدعوة إلى الله، ومخاطبة الناس في موضوعها، فيحتاج إلى قَدْر كبير من الصبر في المجالين: مجال النفس ومجال الدعوة، حتى يستطيع تجاوز العقبات وتحمُّل الأذى، فإن فقد الصبر قعد أو انسحب من الميدان، وحق عليه الحساب، وفاته الثواب)[١]

وقد قال تعالى في سورة العصر {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) سورة العصر، الآيات: ١ – ٣. فلا بقاء للحق بدون الصبر ولذلك قال لقمان لابنه في وصيته (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ على مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان

[١] أصول الدعوة ت/د/عبد الكريم زيدان ص/٣٥٠

(١٧) حيث وصى ابنه بالصبر علي مايصيبه من أذي عقب وصيته له بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ودونك أيها الداعي إلى الله على بصيرة بعض المعوقات التي تعترض طريق الدعوة

إعراض الخلق عن الداعية:- -العائق الأول:

(لا شيء أثقل على صاحب الدعوة وهو يصيح بأعلى صوته، وينادي بملء فيه لينقذ الناس من الظلمات إلى النور، فلا يجد إلا آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأناساً قد استغشوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكبارا و ها هو نبي الله نوح - ﷺ - يناجي ربه: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}نوح٥-٧) ولكن التحديات تزيد عود الداعية صلابة، وهمته شموخاً، فلا يفتأ قائماً على أمر الله، ظاهراً على الحق، لا يضره من خالفه، ولا من خذله حتى يجعل الله له سبيلاً: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) نوح / ٨-٩

هذا هو شأن قوم أول المرسلين نوح - ﷺ -، وهو موقف قوم خاتم المرسلين محمد - ﷺ - لم يتغير ولم يتبدل، وهذه هي سبيل المجرمين في كل القرون ... {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)الذاريات/٥٣.{

ويصف الله تبارك وتعالى موقف قريش من النبي – ﷺ –: {حم* تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} فصلت(١–٥).(

ولهذا قال الله تعالى آمراً نبيه – ﷺ –: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِالله وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) سورة النحل، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

العائق الثاني: الأذى من الناس قولاً وفعلاً:

أعداء الحق يقابلون الإحسان بالإساءة، فالداعي إلى الله يمحض لهم النصح فيتهمونه بما ليس فيه، ويدعوهم إلى الله بالموعظة الحسنة فيردونه بالسوء، ويجادلهم بالتي هي أحسن فيقاومونه بالتي هي أخشن وأسوأ، ويصدع بينهم بالحق فلا يسمع منهم إلا الباطل.

وفوق هذا كله تمتدّ يد الباطل إلى الأموال فتنهبها، وإلى الأبدان فتعذّبها، والحرمات فتنتهكها، والأنفس فتقتلها.

وهذا ما أشار إليه رب العزة مخاطباً المؤمنين ليوطّنوا أنفسهم على الصبر والثبات: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ

الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} ال عمران ١٨٦

وفي الآية: نكت لطيفة ينبغي لفت نظر الدعاة إليها أسلحتها: التشويه، والتشويش، والدسّ، والافتراء، والتحريف.

شعارها: الغاية تبرر الوسيلة، واكذب حتى يصدِّقك الناس.

فلابُدَّ من احتمال مكارهها، والصبر على تجرّع غصصها حتى يأتي نصر الله فيحقّ الحق، ويبطل الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

الثانية: قرن الله الصبر بالتقوى، فلابدَّ أن يجمع المؤمنون التقوى والصّبر لمواجهة هذه الحرب الضروس.

الصبر للثبات في وجه الباطل.

والتقوى للتعفّف عن مقابلة الخصوم بأسلحتهم الخبيثة، فالمؤمن لا يواجه الدسّ بالدسّ، ولا الافتراء بمثله؛ لأن المؤمنين يحكمهم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}المائدة /٨.(

الثالثة: قرن الله بين أهل الكتاب والمشركين هذا مع اختلاف مشربهم ووجهتهم، وفي هذا لفتة رائعة إلى أن عدواتهم للإسلام وأهله وحَّدت بينهم على اختلاف.

هذا ما قرره القرآن الكريم قبل مئات السنين، وأيده التاريخ والواقع.

لقد وجدنا اليهودية العالمية، والصليبية، والشيوعية الدولية تختلف بينها أشد الاختلاف، ثم تتناسى هذا كلّه عندما يحاربون الإسلام قال الله تعالى: {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}الانفال/ ٧٣.(

وقال جل ثناؤه: {وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}سورة الجاثية، الآية: ١٩.(

فصبر جميل، والله المستعان على ما يفعلون.

وأنبياء الله جميعاً يمثلون هذا النوع من الصبر حيث قالوا ردّاً على أذى أقوامهم: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}سورة إبراهيم، الآية: ١٢.(

وكان عزاء رسول الله – ﷺ – أن الرسل جميعاً من قبله حدث لهم الأذى والتشويه والافتراء: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله}سورة الأنعام، الآية: ٣٤.(

ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا) سورة المزمل،/١٠)[١]

[١] انظر أنواع الصبر ومجالاته ت/ سعيد بن وهف القحطاني ص(٢٢– ٢٦)

ولقد أوذى الصحابة الكرام ايذاءا شديدا فعن أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكعبة، فقلنا أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها، ثمَّ يُؤتى بالمِنْشَارِ فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاطِ الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غَنَمِه، ولكنكم تستعجلون». وفي رواية: «هو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وقد لقينا من المشركين شدة [صحيح] – [رواه البخاري)

العائق الثالث: استبطاء النصر والفرج

لقد جعل الله – سبحانه وتعالى – العاقبة للمتقين، وكتب لهم التمكين في الأرض؛ ليكون الدين كله لله، ولكن هذه المنزلة لن يبلغها المؤمنون بين عشيةٍ وضحاها.

قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ}سورة البقرة، الآية: ٢١٤.(

متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالاً لمجيئه؛ هنالك يجيء الغوث للملهوف، والفرج للمكروب، فتفرح القلوب – ألا إن نصر الله قريب [1] فطريق الدعوة في حاجة الى الصبر الطويل والنفس الطويل ويمر بشدائد وإحن وأهوال و الكرب كلما اشتد تّ كان الفرج قريباً كما في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [سورة يوسف: ١١٠]

الأسباب التي تعين علي الصبر:

١–استجضار العبد أنه مأمور به من قبل الله ورسوله إذ يقول الله تعالي (واصبروا إن الله مع الصابرين)الأنفال/٤٦وإيقول النبي صلي الله عليه وسلم (.....فاصبروا حتى تلقوني علي الحوض)رواه البخاري وإذا كان الصبر مأمورا به من الله ورسوله فليس على المسلم الصادق سوى الامتثال.

١- المعايشة الطويلة للنبيين من خلال قصصه٢

وكذلك أتباعهم من المجاهدين والصديقين والشهداء والصالحين وكيف أن الصبر كان دأبهم وديدنهم وأنهم نالوا بسببه أعلي الدرجات ومكن الله لهم في الأرض قال تعالي (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا

١- [1]المرجع السابق ص ٢٧

كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)الانعام آية(٣٤)

٣-مجاهدة النفس وحملها على التحلى بالصبر لقوله ﷺ (ومن يصبر يصبره الله)رواه احمد

٤-تذكر ثمرات الصبر وفوائده فإن ذلك من شأنه حمل النفس علي التخلي بالصبر الجميل

٥- صحبة المعروفين بالصبر والتحمل فإن ذلك من شأنه أن يقوي العزائم ويسمو بالارادات لتكون في مستوي هؤلاء أو تقارب .[١]

٥-التفكر في عظم فضل الصبر وكثرة ثوابه في الآخرة قال تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).يوسف/٩٠

٦-التفكر في شدة العذاب يوم القيامة لمن فرط في الصبر وأتبع نفسه الشهوات قال عبد الرحمن بن محمد القاري: (جلس إلي يوما زيادة مولى ابن عباس فقال لي: يا عبد الله قلت: ما تشاء قال: ما هي إلا الجنة والنار. قلت: لا والله ما هي إلا الجنة والنار. قال: ما بينهما منزل ينزله العباد. فقلت: ما بينهما منزل ينزله العباد. قال: (فوالله لنفسي نفس أضن بها عن النار وللصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال في نار جهنم)

[١] انظر توجيهات نبوية على الطريق(٣/١٧٣-١٧٥)

٧-دعاء الله وسؤاله تيسير الصبر عند نزول البلاء قال تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)الاعراف/١٢٦. أما حال العافية فيدعو بإتمام العافية والستر ودوام النعمة.

٨-تقوية الحياء من الله فكيف يعصي العبد سيده الذي خلقه وهداه وأكرمه وميزه عن سائر المخلوقات وكيف يستعمل نعم الله التي وهبها الله له في معاصيه قال ابن القيم: (ذكر للصبر عن المعصية سببين وفائدتين: أما السببان فالخوف من لحوق الوعيد المرتب عليها والثاني الحياء من الرب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمه وأن يبارز بالعظائم وأما الفائدتان: فالإبقاء على الإيمان والحذر من الحرام). وإذا أيقن العبد أن الله ينظر إليه ويسمعه ويراقبه استحيا منه.[١]

صور من حياة الصابرين

أيوب عليه السلام

ابتلي أيوب عليه السلام بلاءا شديدا في أهله وبدنه ومالهوقد كان أيوب عليه السلام من الأغنياء صاحب ثروة ومال وبنين وكان يملك أراضى واسعة وحقولا وبساتين وكان عبدا تقيا ذاكرا شاكرا لأنعم الله عليه ثم ابتلاه الله بسلب النعمة ففقد المال والأهل والولد ونشبت به الأمراض المضنية المضنية المضجرة فصبر علي البلاء وحمد الله وأثنى عليه وكانت لأيوب امرأة مؤمنة

[١]موقع صيد الفوائد /فضل الصبر للشيخ/خالد بن سعود

صالحة اسمها (رحمة)من أحفاد يوسف عليه السلام ثم إن الشيطان حاول أن يدخل إليه عن طريق امرأته فوسوس لها إلى متى تصبرين ؟فجاءت إلى ايوب وفى نفسها اليأس والضجر مما أصابه فقالت له:إلى متى هذا البلاء؟فغضب أيوب وقال لها:كم لبثت في الرخاء ؟قالت ثمانين قال كم لبثت فى البلاء ؟ قالت سبع سنين قال أما أستحى أن أطلب من الله رفع بلائي وماقضيت فيه مدة رخائي ثم قال:والله لئن برئت لأضربنك مائة سوط وجرم على نفسه أن تخدمه بعد ذلك ثم نادى ربه فى حالة الوحدة والشدة:(رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) فأجاب الله دعاءه وكشف بلاءه وأوحى إليه أن يضرب برجله الأرض فتفجر له منها الماء البارد فأمره أن يشرب منه ويغتسل فشفاه الله وعاد أكمل ما كان صحة وقوة قال الله تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ [الأنبياء:٨٣-٨٤].وقال تعالى قي سورة ص(وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ أمر الله أن يبر بيمينه بأن يضربها بحزمة من قضبان خفيفة فيها مئة عود فيضربها ضربة واحدة ويبر فى يمينه ولا يحنث وقد عاش أيوب (٩٣)سنة ورزقه الله المال

والبنين وقد ولد له ٢٦ ولدا ذكرا منهم واحد يسمى بشرا الذى يقول بض المؤ رخين: إنه (ذو الكفل)الذى ذكر فى القرآن في ضمن الرسل الكرام وقد كانت رسالة أيوب إلى أمة الروم وكان مقامه في دمشق وأطرافها) [١]

صبر بلال

بلال بن رباح – رضي الله عنه – كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله

– تعالى – وقد عذّبه أشد العذاب، ومن ذلك أن أمية كان يُخرجُ بلالاً إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحدٌ أحدٌ، فمر به أبو بكر فاشتراه. وهذه الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف. [٢]

قصة أم سلمة رضى الله عنها

عن أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله

---

[١] انظر النبوة والانبياء للصابونى ص (٣٤٤-٣٤٧)ط ٤/دار القلم دمشق

[٢] انظر: الإصابة في تمييز الصحابة،١/ ١٦٥،وسيرة ابن هشام،١/ ٣٤٠،وسير أعلام النبلاء، ١/ ٣٧.

إنا لله وإنا إليه راجعون

اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت إن لي بنتا وأنا غيور فقال أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة)رواه مسلم

وقال ابن عبد البر:ان ابا سلمة قال عند وفاته اللهم اخلفني في أهلي بخير فأخلفه رسول الله على زوجته أم سلمة فصارت أما للمؤمنين وعلى بنيه سلمة وزينب ودرة)[1]

قصة الصابرة أم سليم رضى الله عنها:

– وعنْ أَنَسٍ بن مالك رضى الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنٌ لأبي طَلْحةَ رضى الله عنه يَشْتَكي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحة، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابني؟ قَالَت أُمُّ سُلَيْم وَهِيَ أُمُّ الصَّبيّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فرغَ قَالَتْ: وارُوا الصَّبيَّ، فَلَمَّا أَصْبحَ أَبُو طَلْحَة أَتَى رسولَ الله ﷺ فَأَخْبرهُ، فَقَالَ: أَعرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهمَّ باركْ لَهُما فَولَدتْ غُلاماً فقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حتَّى تَأْتِيَ بِهِ النبيَّ ﷺ، وبَعثَ مَعهُ بِتمْرَات، فَقَالَ: أَمعهُ

[1] هؤلاء يحبهم الله ت/حامد أحمد الطاهري ص٩٣ ط/دار الفجر للتراث

شْيءٌ "قَالَ: نعمْ، تَمراتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمضَغَهَا، ثُمَّ أَخذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا في فِيّ الصَّبيّ ثُمَّ حَنَّكَه وسمَّاهُ عبدَاللَّهِ متفقٌ عَلَيهِ. وفي روايةٍ للْبُخَارِيّ: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَة: فَقَالَ رجُلٌ منَ الأَنْصارِ: فَرأَيْتُ تَسعة أَوْلادٍ كلُّهُمْ قدْ قَرؤُوا الْقُرْآنَ، يعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِ اللَّه الْمولُود.

وَفي روايةٍ لمسلِم: ماتَ ابْنٌ لأبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأهْلِهَا: لاَ تُحَدّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابنِهِ حتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدّثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وشَرِبَ، ثُمَّ تَصنَّعتْ لهُ أَحْسنَ مَا كانتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذلكَ، فَوقَعَ بِهَا، فَلَمَّا أَنْ رأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعِ وأَصَابَ مِنْها قَالتْ: يَا أَبَا طلْحةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعارُوا عارِيتهُمْ أَهْل بيْتٍ فَطَلبوا عاريَتَهُم، أَلَهُمْ أَنْ يمْنَعُوهَا؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ: فاحتسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: تركتنِي حتَّى إِذَا تَلطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبرتِني بِابْني، فَانْطَلَقَ حتَّى أَتَى رسولَ اللَّه ﷺ فأخْبَرهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: بَارِكَ اللَّه لكُما في ليْلتِكُما.

قَالَ: فحملَتْ، قَالَ: وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ في سفَرٍ وهِي مَعَهُ وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةِ مِنْ سَفَرٍ لاَ يَطْرُقُها طُرُوقاً فَدنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخاضُ، فَاحْتَبَس عَلَيْهَا أَبُو طلْحَةَ، وانْطلَقَ رسولُ اللَّه ﷺ. قَالَ: يقُولُ أَبُو طَلْحةَ إِنَّكَ لتعلمُ يَا ربِّ أَنَّهُ يعْجبُنِي أَنْ أَخْرُجَ معَ رسولِ اللَّه ﷺ إِذَا خَرَجَ، وأَدْخُلَ مَعهُ إِذَا دَخَلَ، وقَدِ احْتَبَسْتُ بِما تَرى. تقولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طلْحةَ مَا أَجِد الَّذي كنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا، وضَربهَا المَخاضُ حينَ قَدِمَا فَولَدتْ غُلاماً. فقالَتْ لِي أُمِّي: يا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ

أَحدٌ تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رسُول اللَّه ﷺ، فلمَّا أَصْبحَ احتملْتُهُ فانطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رسولِ اللَّه ﷺ. وذَكَرَ تمامَ الْحَدِيثِ.

صبر عروة بن الزبير رضى الله عنه

وهذا فارس آخر من فرسان الصبر وهو عروة بن الزبير: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: وقعت الأكلة في رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: إن شئتم، والأكلة الظاهر أنها مرض يصيب الأطراف وينتقل.

فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول به عقلك، وطبعاً يجوز أخذ البنج أو شيء يذهب العقل؛ لأن هذه الآلام قد تذهب بحياة الإنسان، فقد يدخل في صدمة عصبية، وقد يموت من ذلك، فالعلماء رخصوا في العمليات الجراحية، وعمليات البتر بتعاطي البنج ونحوه، ولكن عروة بن الزبير اختار المقام الذي لا يصبر عليه إلا من هو إمام في الصبر.

فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول به عقلك؟ فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه! قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت.

وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة.

وقال عامر بن صالح عن هشام بن عروة: إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئاً، فظهرت به

قرحة، ثم زاد به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله! اقطعها، قال: دونك، فدعا له الطبيب، وقال له: اشرب المرقد، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حسي حسي، فقال الوليد: ما رأيت شيخاً أصبر من هذا.

وأصيب عروة رحمه الله في هذا السفر بابنه محمد؛ ركضته بغلة في إصطبل، فلم نسمع منه كلمة في ذلك، فلما كان بوادي القرى قال: {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف:٦٢]، اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت.

فهذا موقف إيماني في الصبر على البلاء والرضا بمر القضاء، فكم من إنسان يدعي الإيمان، فإذا نزل به البلاء أو المصيبة تزلزل إيمانه، وأساء الظن بربه عز وجل! والمواقف الإيمانية كما ذكرنا غير مرة ثمرة من ثمرات الإيمان، فالدافع لها قوة الإيمان ومحبة الرحمان، ولا يصبر هذا الصبر الجميل إلا إذا اكتمل إيمانه، وعلا يقينه، وقد كان على هذا أئمة العلم والعمل والعبادة والجهاد.

فقد كان عروة يسرد الصيام، ويقوم بربع القرآن كل ليلة، ويحكم ما عند خالته عائشة رضي الله عنها من مرويات قبل وفاتها بثلاث سنوات.

وقد ورد أنه نظر إلى ساقه التي قطعت فقال: الله يعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط وأنا أعلم.[1]

خاتمة لمنزلة الصبر

ونختم منزلة بقول شيخ الاسلام ابن تيمية (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالي (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) السجدة(٢٤) وأخبر سبحانه وتعالي أن مع الصبر والتقوي لا يضر كيد العدو فقال تعالي (وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) آل عمران آية (١٢٠) ويكفي أن أهل الجنة يدخلون الجنة بغير حساب قال تعالي (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠] وقد أمر الله نبيه بخلق الصبر فقال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ} [النحل ١٢٧] وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف ٣٥ .]

وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} [آل عمران ٢٠٠ .]

وأثنى على أهله، فقال تعالى: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة ١٧٧ .]

١- [1]كتاب دروس الشيخ أحمد فريد درس رقم٥٧ ص ١٦

وأخبر بمحبته للصابرين، فقال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران ١٤٦]، ومعيته لهم، فقال تعالى: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال ٤٦ .[

ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، فقال تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل ٩٦ [

وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر ١٠ .[

وبشرهم فقال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة ١٥٥ [

وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً} [الإنسان ١٢ .[

وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة} [البقرة ١٥٣ [

وقوله تعالى في سورة يوسف: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف ٩٠ [

وقرن الله – تبارك وتعالى – الصبر بالعمل، فقال: {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود ١١ [

وقرنه بالاستغفار: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ {

وقرنه بالتسبيح،في قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور ٤٨ [

وفي قوله تعالى في سورة طه: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه ١٣٠ [

وقرنه بالشكر في عدة آيات، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم ٥ .[

وحديث القرآن عن الصبر متنوع وممتع مما يدل على أهميته ومكانته العظيمة، وكذا الشأن في السنة النبوية، فقد حث النبي ﷺ أمته على هذا الخلق الكريم، وكانت سيرته ﷺ أنموذجاً يحتذى في التخلق بخلق الصبر بشتى أنواعه وأعلى درجاته، ومن قرأ في سيرته العملية وسنته القولية سيجد أن للصبر شأناً عظيماً .

قال صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله عجب، لا يقضي الله لمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ."

فهذا الحديث يعم جميع أقضيته لعبده المؤمن وأنها خيرله إذا صبر على مكروهها وشكر لمحبوبها، بل هذا داخل في مسمى الإيمان كما

قال بعض السلف: "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر" لقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}ابراهيم /٥

وصدق الشاعر:

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته ،، لكن عواقبه أحلى من العسل

فالصبر صفة المعلم وهو يؤدب طلابه وصفة الطالب وهو يتلقى العلوم والآداب وتتحلي به الزوجة وهي طائعة في بيت زوجها ويتحلي به الزوج وهو يتحمل أعباء أسرته .الصبر هو عدة الجندى في المعركة فيشرب واحدا من كؤوس الصبر فينتصر فى المعركة .والصبر عدة الداعية وهو يؤلف القلوب ويجمع الانصار .لذلك فالمسلم يتسلح بالصبر لأنه من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة فإن أثقال الحياة لايطيقها المهازيل .والمرء اذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله لم يستأجر له أطفالا أو مرضى أو خوارين إنما ينتقي له ذوى الكواهل الصلبة والمناكب الشدادكذلك الجياة لاينهض برسالتها الكبرى ولا ينقلها من طور الى طور إلا رجال عمالقة وأبطال صبارون فالزم الصبروكن صبورا

دعاء

اللهم ارزقنا الصبر وقوة التحمل

مما لا شك فيه أنه لا يوجد في هذه الدنيا ملجأ إلا الله عز وجل ولهذا عند مواجهة أي مشكلة يكون الحل التحلي بالصبر، ويمكن للمسلم القيام بذلك من خلال ترديد بعض الأدعية ومن هذه الأدعية:

اللهم إني أدعوك من قلب شخص ضعفت قوته بدعاء المكروب الملهوف أنت ترحمنا يا أرحم الراحمين وترزقني الصبر على كل بلاء وضيق.

اللهم إني أسألك أن تكفيني شر كل شخص وأن ترزقني لذة الصبر الجميل وأعوذ بك من شرور وفتن الدنيا.

اللهم يا صبور أسألك أن تصبرني على ما ابتليت به وأعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك.

إليك يا الله أشكو ضعفي وقلة حيلتي وهواني على من حولي يا أرحم الراحمين وأسألك الصبر الجميل

اللهم آمين يارب العالمين.

الباب السادس: المقاتلون في سبيل الله صفا واحدا

- تمهيد
- الجهاد لغة واصطلاحا
- حكمة الجهاد
- فضل الجهاد
- ما المقصود بالبنيان المرصوص ؟
- الجماعة رحمة و الفرقة عذاب
- مثال عملي للقتال صفا واحدا

الباب السادس: المقاتلون في سبيل الله صفا واحدا

تمهيد:

بين الله سبحانه وتعالي أنه يحب المقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال تعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف: ٤] .

سورة الصف في الحقيقة هي سورة الجهاد ولأن الله تعالي بدأها بالثناء علي المقاتلين في سبيله ثم دعا الي الجهاد في أخرها ثم ذكر بين ذلك أن الله سيظهر دينه علي كل الأديان و لو كره المشركون .

فهؤلاء الذين علق الله محبتهم بأعمالهم لهم عدة صفات:

أولا: يقاتلون فلا يركنون الي الخلود و الخمول و الكسل و الجمود الذي يضعف الدين والدنيا .

ثانيا: الاخلاص لقوله " في سبيله "

ثالثا: يشد بعضهم بعضا لقوله " صفا "

رابعا: أنهم كالبنيان والبنيان حصن منيع

خامسا: لا يتخللهم ما يمزقهم لقوله " مرصوص "

هذه خمس صفات علق المحبة لهؤلاء عليهم .

الجهاد لغة واصطلاحا:

الجهاد لغة: هو المشقة ببذل أقصي ما في الطاقة والوسع .[1]

الجهاد اصطلاحا: بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس و المال و اللسان وغير ذلك . [2]

والذي جعلنا نعرف الجهاد لأن القتال في سبيل الله هو الجهاد شرعا

حكمة الجهاد:

ومن الحكمة في الجهاد أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر وحفظ الأنفس والأموال و رعاية الحق وصيانة العدل وتعميم الخير ونشر الفضيلة .

قال تعالي ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٩]

---

[1] توجيهات نبوية علي الطريق ت / د / السيد محمد نوح حي (٣١٣/٢) الطبعة الاولي ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م ط/ دار الوفاء المنصورة

[2] الكاساني في البدائع (٩ / ٤٢٩٩)

فضل الجهاد:

قال تعالي ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[سورة التوبة: ٣٦]

وقال تعالي ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]

قال تعالي ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٥٧]

وقال تعالي ﴿ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٧٤]

وقال تعالي ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[سورة التوبة: ١١١]

وقال تعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[سورة الصف:٤]

وقوله تعالي: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠]

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أن تحصر فمن ذلك:

- عن ابي ذر- رضي الله عنه - قال " قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال: الايمان بالله والجهاد في سبيله "[١]

- وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " لغدوة[٢] في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها "[٣]

- قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟

قال: " لا تستطيعون " وأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: " لا تستطيعون " ثم قال: " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بأيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتي يرجع المجاهد في سبيل الله "[٤]

---

[١] متفق عليه

[٢] الغدوة: هو سير أول النهار

[٣] البخاري ومسلم

[٤] أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي واحمد واللفظ للبخاري

– عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " كل ميت يختم علي عمله الا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلي يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر "[١]

– وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: " رباط يوم في سبيل الله خيرمن ألف يوم فيما سواه من المنازل "[٢]

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض "[٣]

– وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " يغفر الله للشهيد كل ذنب إلا الدِّينَ "[٤]

وفي رواية له " القتل في سبيل الله يُكفرٌ كل شئ إلا الدِّينَ "

---

[١] رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح

[٢] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

[٣] رواه البخاري

[٤] رواه مسلم

ما المقصود بالبنيان المرصوص ؟

اختلف علماء التفسير في المراد بالبنيان المرصوص فنقل بعضهم عن الفراء أنه المتلاحم بالرصاص لشدة قوته . والجمهور أنه المتلاصق للتراص المتساوي .[١]

وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتي يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص.[٢]

وبذلك قال القرطبي رحمه الله " يحب [٣] من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء وقال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله تعالي للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عددهم "[٤]

ويرجح الشيخ الشنقيطي ان المراد وجه الشبه لأن شكل (البناء المتراص يتنافى وطبيعة الكر والفر في أرض المعركة ولكل وقعة نظامها حسب موقعها)وقال أيضا أن وجه الشبه المراد هنا هو عموم القوة والوحدة وقال (البنيان المرصوص في قوته وحمايته وثباته وقد عاب الله تعالي علي اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالي (تحسبهم جميعا

---

[١] أضواء البيان للشنقيطي (١٧٤/٨) المطابع الأهلية الرياض

[٢] الكشاف (٥١١/٤) ط / دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥

[٣] أي يحب الله تعالي

[٤] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المجلد ٩ جزء ١٨ ص٥٤) ط / دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

وقلوبهم شتي)الحشر(١٤)وقال ابن عاشور والتشبيه في الثبات وعدم الانفلات

ترجيح

وأرجح أن الآية الكريمة تحتمل المعنيين وهي القتال في صفوف متراصة كالبنيان المرصوص وتحتمل أيضا الثبات والوحدة علي حسب المعركة فإن الناظر إلي الحروب القديمة كانت تعتمد علي الصفوف لأن القتال كان بالسيوف والرماح ومواجهه المقاتلين بعضهم بعضا وجها لوجه فدائما تبدأ المعارك بهذه الصفوف المتراصة ثم تختلف بعد ذلك علي حسب المعركة .

ومع تطور الحروب في العصر الحديث إلا أن القتال أيضا بالصفوف المتراصة مازال موجودا عن المجموعات المقاتلة لمهام محددة فإنها تنطلق مع بعض لتنفيذ هذه المهمات لذلك فالأولي أن نأخذ بالمعني الظاهر في قال تعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[سورة الصف: ٤]

مع اعتبار وجه الشبه أيضا وهو الثبات والقوة والترابط في ملاقاة الأعداء.

الجماعة رحمة والفرقة عذاب:

قال الله تعالي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف: ٤]

فليس هو مجرد القتال ولكنه هو القتال في سبيله والقتال في تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف والقتال في ثبات وصمود ﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١]

ولا يتصور الإسلام قائما إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط وذات نظام وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها هو إقامة هذا المنهج الإلهي.[٢]

ومنذ اليوم الأول للدعوة قام مجتمع إسلامي أو جماعة مسلمة ذات قيادة مطاعة هي قيادة رسول الله صلي الله عليه وسلم وذات التزامات جماعية بين أفرادها وذات كيان يميزها عن سائر الجماعات حولها وذات آداب تتعلق بضمير الإنسان مراعي فيها في الوقت ذاته حياة هذه الجماعة وذلك كله قبل أن تقوم الدولة المسلمة في المدينة بل إن قيام تلك الجماعة كان هو وسيلة إقامة الدولة في المدينة.[٣]

---

[١] الظلال / ٣٥٥٢/٦ ط دار الشروق

[٢] المرجع السابق (٣٥٥٢/٦)

[٣] المرجع السابق (٣٥٥٣/٦)

وفي واقع المسلمين اليوم نجد الاختلاف والشقاق بين الدول الإسلامية وبين حكامها و أولياء الأمور بل نجد الشقاق بين طوائف المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام وبذلك يبتعدون عن هذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين هذا التعبير القرآني المبدع ﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾

بنيان تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها وتسد ثغرتها لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها تقدمت أو تأخرت سواء

وإذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو علي جانبيها سواء

إنه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام التعبير المصور لطبيعة الجماعة ولطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة ارتباط الشعور وارتباط الحركة داخل النظام المرسوم المتجه إلي هدف مرسوم.[1]

لذلك يقول الرسول صلي الله عليه وسلم " الجماعة رحمة والفرقة عذاب"[2]

---

[1] الظلال (٦/٣٥٥٤)

[2] أخرجه أحمد و أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٢٧٦,٢٧٧) رقم ٦٦٧

أليس جدير بالمسلمين أن يكونوا صفا واحدا وأعداء الإسلام من الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا يقفون موقف التكتل والتحزب من الإسلام

(لتعارض هذا المنهج وتقف في طريقه والشر عارم والباطل متبجح والشيطان لئيم ! ومن ثم يتعين علي حملة الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء ليغلبوا عملاء الشر واعوان الشيطان .

أقوياء في أخلاقهم و أقوياء في قتال خصومهم علي السواء ويتعين عليهم أن يقاتلوا عندما يصبح القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة للمنهج الجديد وحرية الاعتقاد به وحرية العمل وفق نظامه المرسوم)[1]

فالجماعة تعين المسلم علي أداء دوره في الأرض والجماعة تبعث الأمل في نفس المسلم وتدفع عنه اليأس والقنوط وتجعله يضاعف من جهده وعطائه والجماعة تكون سببا في استجلاب العون والمدد الإلهي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " يد الله مع الجماعة ".[2]

---

[1] الظلال (٦/٣٥٥٤)

[2] أخرجه النسائي

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل والقوم إذا صفوا للصلاة والقوم إذا صفوا للقتال ".[1]

فينبغي علي المسلمين نبذ الفرقة والحرص علي الجماعة والوحدة قال تعالي ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣]

مثال عملي للقتال صفا واحدا:

وقد أكد هذه الفائدة وهذه الثمرة عمليا ما وقع في ٦٥٨ هـ إذ كان هناك خلاف بين سلطان الشام وملك الكرك والشويك من ناحية وبين سلطان مصر المظفر قطز من ناحية أخري وكانت النية مبيتة من الأولين علي قتال الثالث و انتزاع مصر من قبضته وما إن تواترت الأخبار بزحف التتار ناحية بلاد الشام ومصر حتي نسي الفريقان ما بينهما من عداوة وهبوا للقاء التتر تحت راية قطز في معركة عين جالوت في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان من نفس السنة وكان النصر المؤزر للإسلام وأهله والهزيمة النكراء للتتر وأعوانهم من اليهود والنصارى والمنافقين من المسلمين.[2]

---

[1] أخرجه ابن ماجه وأحمد

[2] توجيهات نبوية علي الطريق للسيد نوح (٣١٩/٢)

ونختم هذا الباب بأن الجهاد في سبيل الله من أعظم القربات التي يتقرب بيها المسلم إلي الله تعالي والجهاد عمل عظيم ضخم لا يعدله شيء إلا جهاد مثله وكفي أن الله تعالي أحب المقاتلين في سبيله صفا كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف: ٤]

فهذه درجة عظيمة تجعل المسلمين يدا واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا في مواجهة أعداء الإسلام

الباب السابع: المتوكلون علي الله تعالي

- تمهيد
- التوكل لغة واصطلاحا
- مواطن التوكل
- الفرق بين التوكل والتواكل
- الهجرة والأخذ بالأسباب
- التوكل والأخذ بالأسباب
- درجات التوكل
- التوكل علي الله في جميع مناحي الحياة
- قصة لطيفة عن التوكل علي الله
- حقيقة التوكل

الباب السابع: المتوكلون علي الله

تمهيد:

صفة أخري يحبها الله تعالي ويحب من يتصف بها إنها صفة التوكل علي الله ولقد جاء حب الله تعالي للمتوكلين في القرآن الكريم مرة واحدة آمرا بها حبيبه محمد صلي الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين قال الله تعالي ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]

لذلك فإن نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ذكر أن المتوكل علي الله من الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلي ربهم يتوكلون "[١]

والتوكل نصف الدين والنصف الثاني " الإنابة " فإن الدين إستعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة بل هو محض العبودية وخالص التوحيد إذا قام به صاحبه حقيقة.[٢]

بل جعل الله تعالي التوكل عليه علامة من علامات الإيمان قال تعالي ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٣] فمن لا توكل له الإيمان له وقال تعالي ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

---

[١] متفق عليه

[٢] تهذيب مدارك السالكين ص٣٣٦

[سورة ابراهيم: ١١] وذكر صفة التوكل علي الله في صفات المؤمنين من قوله تعالي ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢]

التوكل لغة واصطلاحا:

التوكل لغة: مصدر توكل يتوكل وهو مأخوذ من مادة وكل التي تدل علي اعتماد الغير في أمر ما ومن ذلك التوكل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد علي غيرك والتوكيل أن تعتمد علي غيرك وتجعله نائبا عنك والمتوكل علي الله الذي علم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل علي غيره .[١]

التوكل علي الله اصطلاحا: هي الأخذ بالأسباب البشرية قدر الطاقة والإمكان مع الاعتماد التام علي الله والاستعانة به قبل الأسباب وبعد الأسباب،[٢] وقال الجرجاني " التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس ".[٣]

معاني أخري للتوكل:

---

[١]نضرة النعيم (١٣٧٧/٤)

[٢]توجيهات علي الطريق د/ السيد نوح (١٥٢/٣) الطبعة الأولي دار اقرأ للنشر والتوزيع – دار اليقين للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

[٣]نضرة النعيم (١٣٧٧/٤)

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب

وقيل: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد

وقيل: هو انطراح القلب بين يدي الرب وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدام قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد

وقيل: هو الرضا بالمقدور.[١]

قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلي ربه سبحانه.[٢]

وقيل لحاتم الأصم: علي ما بنيت أمرك في التوكل ؟

قال علي خصال أربع:

١- علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي

٢- وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به

٣- وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره

٤- وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه.[٣]

---

[١] تهذيب مدارك السالكين حي ٣٧٧

[٢] تهذيب مدارك السالكين حي ٣٣٩

[٣] السعادة والحياة ت/ عبدالكريم بن عوض للبيني السلمي ص ٨١

مواطن التوكل:

إن التوكل علي الله عز وجل مطلوب في كل شئون الحياة بيد أن هناك مواطن في كل شئون الحياة بيد أن هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحض علي التوكل والأمر به للرسول صلي الله عليه وسلم وللمؤمنين .

وقد ذكر الفيروز آبادي من ذلك:

١- إن طلبتم النصر والفرج فتوكلوا عليه قال تعالي ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠]

٢- إذ أعرض عنك الخلق فاعتمد علي التوكل قال تعالي ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٩]

٣- إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل قال تعالي﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨١]

٤- إذا تلي القرآن عليك أو تلوته فاستند علي التوكل قال تعالي ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢]

٥- إذا طلب الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوسل إلي ذلك إلا بالتوكل قال تعالي ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال: ٦١]

٦- إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل قال تعالي ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥١]

٧- إذا نصب الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التوكل قال تعالي ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [سورة يونس: ٧١]

٨- إذا عرفت أن مرجع الكل إلي الله وتقدير الكل فيها لله فوّطن نفسك علي فرش التوكل قال تعالي ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [سورة هود: ١٢٣]

٩- إذا علمت أن الله هو الواحد علي الحقيقة فلا يكن إتكالك إلا عليه قال تعالي ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠]

١٠- إذا كانت الهداية من الله فاستقبلها بالشكر والتوكل قال تعالي ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة إبراهيم:١٢]

١١- إذا خشيت بأس أعداء الله والشيطان الغدار فلا تلتجيء إلا إلي باب الله قال تعالي ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٩]

١٢- إذا أردت أن يكون الله وكيلك في كل حال فتمسك بالتوكل في كل حال قال تعالي ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[النساء: ٨١]

١٣- إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل قال تعالي ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢]

١٤- إن شئت أن تنال محبة الله فأنزل أولا في مقام التوكل قال تعالي ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩]

١٥- إذا أردت أن يكون الله لك وتكون لله خالصا فعليك بالتوكل قال تعالي ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]

وقال تعالي﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩]

الفرق بين التوكل والتواكل:

التوكل الصحيح: هو الإيمان بالله والإعتماد عليه وحده وتفويض الأمر له والثقة بنصره والإقبال عليه والإهتداء بهديه و أداء حقوق الله وحقوق الخلق لذلك يكون التوكل بالإعتماد علي الله مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله والقيام بها علي خير وجه وتفويض الأمر في النتائج علي الله والرضا بقدره وقضائه واختياره .

أما **التواكل:** هو ضد التوكل فهو يطلب الجنة بدون سعي في الأرض وابتغاء من فضل الله متأملا أن تمطر السماء الذهب والفضة وقد جاء

في الحديث القدسي " ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي علي من بخل بطاعتي "[1]

ولقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه " رأي أناسا فقال: من أنتم ؟ قالوا: نحن متوكلون قال لا بل أنتم المتواكلون إنما المتوكل من يلقي حبه في الأرض ثم يتوكل علي الله ".[2]

فالمسلم يتوكل علي الله ويأخذ بالأسباب ولا يعتمد علي الأسباب وإنما يعتمد علي الله تعالي بل يكون مقصرا إذا لم يأخذ بالأسباب التي يقدر عليها فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل ؛ أو أطلقها وأتوكل قال: " اعقلها وتوكل"[3]

وما أخل رسول الله صلي الله عليه وسلم بشيء من الأسباب وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه وهم أولو التوكل حقا .

وفي المعارك كان صلي الله عليه وسلم يرسم خطته وينظم صفوفه وإذا فرغ من كل الأسباب المادية المطلوبة لنجاح المعركة رفع يديه سائلا

---

[1] حديث قدسي لم يثبت صحته

[2] رواه ابن ابي الدنيا بسند صحيح

[3] رواه الترمذي والحاكم وفي صحيح الجامع للألباني وقال حسن

الله عزوجل: " اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ".[1]

وكذلك كان هدية صلي الله عليه وسلم في الجمع بين الأسباب المادية والروحية ثم يعلق أمر نجاحه علي ربه وينيط فلاحة وفوزه بمشيئة مولاه.[2]

الهجرة والأخذ بالأسباب:

لما جاء الرسول صلي الله عليه وسلم الإذن بالهجرة اتخذ الرسول صلي الله عليه وسلم الترتيبات التالية:

١- اختار أبا بكر رضي الله عنه ليكون رفيقا له في طريقه إلي دار هجرته

٢- اعداد راحلة ممتازة للركوب في هذا السفر الشاق الطويل

٣- استأجر دليلا مشركا يدله علي طريق الهجرة وكان الدليل المشرك أمينا ومأمونا

٤- أمر الرسول صلي الله عليه وسلم ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تمويها علي العدو

---

[1] متفق عليه

[2] منها ج المسلم ص ١٧١

٥- آوي الرسول صلي الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر إلي غار ثور ليستتر عن أعين الكفار الحاقدين عليه

٦- لما قال له أبو بكر: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا يا رسول الله قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما !؟

فمن خلال هذه الحادثة نري الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا ينكر الأسباب ولا يعتمد عليهما و أن آخر الأسباب للمؤمن اطراحه بين يدي الله وتفويضه أمره إليه في ثقة واطمئنان فبرغم أخذه بكل الأسباب المتاحة وصل الكفار باب الغار فقال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

ورحم الله سهل بن عبدالله التستري حيث قال: "من طعن في الحركة [يعني الأسباب] فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالتوكل حال النبي صلي الله عليه وسلم والكسب سنته فمن عمل علي حاله فلا يتركن سنته ".[١]

التوكل والأخذ بالأسباب:

لابد من لفت الانتباه إلي ثلاثة أمور وهم:

[١] مدارج السالكين لابن قيمة الجوزية (١١٦/٢) تحقيق محمد حامد الفقي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

الأمر الأول: أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب فقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزردون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا قلة سألوا الناس فأنزل الله تعالي

الأمر الثاني: تتخذ الأسباب وان كانت ضعيفة في نفسها ولذلك أمر الله تعالي أيوب عليه السلام أن يضرب الأرض برجله بعد أن دعا لمرضه وهل ضربة الصحيح للأرض منبعة للماء ؟ ولكن الله يريد أن يعلمنا أنه لابد من اتخاذ السبب ولو كان ضعيفا فالأمر أمره والكون كونه ولكن لابد من فعل الأسباب ولما أراد الله أن يطعم مريم وهي في حالة وهن وضعف أمرها أن تهز جذع النخلة لأن السبب يتخذ ولو ضعف

الأمر الثالث: أن لا يعتمد عليها انما يجعل اعتماده علي الله تعالي . ابذل السبب ولو كان يسيرا واعلم أن الله هو مسبب الأسباب ولو شاء أن يحول بين السبب وأثره لفعل سبحانه ولذا لما ألقي ابراهيم في النار لم يحترق لأن الله قدر ذلك وإسماعيل عليه السلام لما أمرٌ أبوه السكين علي عنقه وهي سبب في ازهاق الروح لم تزهق روحه لأن الله لم يأذن في ذلك . فلا يعتمد إلا علي الله وتتخذ الأسباب لأن الله يقدر الأمور بأسبابها .

درجات التوكل:

للتوكل علي الله درجات يتفاوت فيها بحسب المتوكل وقوة إيمانه بالله تعالي وعزمه وهمته

١- الدرجة الأولي: معرفة الرب سبحانه وتعالي وصفاته من قدرته وكفايته وقيومته وانتهاء الأمور إلي علمه وهذه المعروفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في التوكل

٢- الدرجة الثانية: إثبات الأسباب والمسببات فالتوكل من أقوي الأسباب في حصول المتوكل عليه

٣- الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل وعلي قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل

٤- الدرجة الرابعة: اعتماد القلب علي الله واستناده إليه وسكونه إليه وعلامة هذا أن لا يبالي بإقبال الدنيا وإدبارها ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها وإقبال ما يكره لأن اعتماده علي الله وسكونه إليه واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها

٥- الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله تعالي فعلي قدر حسن الظن بالله ورجائه يكون التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل علي من أسأت به الظن ولا التوكل علي من لا ترجوه ولذلك قال الله عزوجل في الحديث

القدسي " أنا عند ظن عبدي بي " وقال عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بثلاث " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل "

٦- الدرجة السادسة: استسلام القلب له و انجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعاته

٧- الدرجة السابعة: التفويض وهو روح التوكل وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلي الله فيعلم المفوض أن الله تعالي يقضي له ما هو خير له في معاشه ومعاده وان كان المقضي له خلاف ما يظنه فهو راضي به لأنه يعلم أنه خير له وان خفيت عليه جهة المصلحة فيه

٨- الدرجة الثامنة: الرضي وهي ثمرة التوكل قال بشر الحافي " يقول أحدهم توكلت علي الله يكذب علي الله . لو توكل علي الله الرضي بما يفعله الله به "

وقال يحيي بن معاذ " وقد سئل: متي يكون الرجل متوكلاً ؟ قال: إذا رضي بالله وكيلا "

التوكل علي الله في جميع مناحي الحياة:

نحتاج في جميع حياتنا التوكل علي الله وحده قال ابن قيم الجوزية " من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه ومن اشتغل بالله عن

الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن اشتغل بنفسه عن الله وكله الله إليهم ".[1]

وإليكم بعض الأحوال في حياتنا تحتاج إلي توكل علي الله

١- التوكل علي الله في الرزق:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: " لو أنكم توكلون علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا ".[2]

معناه تذهب أول النهار خماصا أي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا أي ممتلئة البطون.[3]

٢- التوكل علي الله في صلاة الاستخارة:-

يحرص المسلم علي صلاة الاستخارة في أمور حياته المباحة كتجارة أو صناعة أو وظيفة أو سفر ونحو ذلك واضطرب الأمر عليك فلا تدري هل فيما تقدم عليه خير أم لا ؟

فمن السنة أن تعمل الاستخارة تعرض فيها أمرك علي ربك وتطلب منه أن يختار لك ما هو خير ويشرح له صدرك ثم بعد عمل هذه الاستخارة

---

[1] الفوائد حي ٢٥٣ ط دار ابن خزيمة ١٩٩٨ م

[2] رواه الترمذي

[3] رياض الصالحين حي ٧٩

تنظر فإن وجدت قلبك قد مال إلي الشيء الذي عملت له الاستخارة دخلت فيه ونفذته وان وجدت الله قد بغضك فيه وحول قلبك عنه فاتركه فإنه لا خير فيه وصلاة الاستخارة أن تصلي ركعتين من غير الفريضة في أي وقت تباح الصلاة فيه من ليل أو نهار تقرأ في كل ركعة الفاتحة وما شئت من القرآن وبعد الصلاة تقول الدعاء الذي كان النبي صلي الله عليه وسلم يعلمه صحابته كما يعلمهم السورة من القرآن .[1]

وإليكم الحديث الشريف فعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر[2] خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي

[1] (فقه العبادة حسن ايوب ص٦٦-٦٧)

[2] يسمي حاجته هنا

الخير حيث كان ثم ارضني به قال ويسمي حاجته اي يسمي حاجته عند قوله: اللهم ان كان هذا الأمر ".[1]

٣- توكل علي الله عند الخروج من المنزل:

عن أم المؤمنين أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية حذيفة المخزومية رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال: " بسم الله توكلت علي الله اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل أو أزِل أو أُزَل أو أظلِم أو أُظلَم أو أجهَل أو يُجهَل علي ".[2]

فانظر إلي المسلم عند خروجه من بيته يسمي الله ثم يتوكل علي الله سبحانه وتعالي .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قال – يعني إذا خرج من بيته –: بسم الله توكلت علي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: هديت وكفيت ووقيت وتنحي عنه الشيطان ".[3]

زاد أبو داود " فيقول – يعني الشيطان – لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ورقي " ؟

٤- التوكل علي الله عند النوم

---

[1] رواه البخاري

[2] حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وهذا لفظ ابو داود

[3] رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن

عن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " يا فلان إذا أويت إلي فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإنك إن مت من ليلتك مِتَّ علي الفطرة وإن أصبحت أصبت خيرا ".[1]

قصة لطيفة عن التوكل علي الله تعالي:

حصل أحد الشباب علي دبلوم المدارس الثانوية الصناعية وذهب إلي القاهرة ليبحث عن عمل فالتقي بأحد الدعاة المخلصين فنصحه أن يتقدم بأوراقه إلي مدرسة الصناعات الحربية بالعباسية ليخدم في الجيش المصري ويدافع عن وطنه ودينه وأمته فقال الشاب لا مانع عندي ولكن سوف لا أنجح في الكشف الطبي حيث أن إحدي عيني عليها سحابة مزمنة فقال له الداعية الإسلامي: توكل علي الله وأنت تنجح قلت: كيف أنجح في الكشف الطبي وعيني علي هذه الصورة ؟ فقال له الداعية الإسلامي: من أجل هذا توكل علي الله لأنه لو كانت عينك سليمة كنت ستتوكل علي عينك قال الشاب: فهزني هذا المعني هزاً عنيفاً وتذوقت له طعماً إيمانياً جديداً .

---

[1] متفق عليه

وتوجهت إلي مدرسة الصناعات الحربية بالعباسية متوكلاً علي الله واصطحبنا أحد الضباط مع بعض الزملاء إلي المستشفي العسكري وكلي ثقة وأمل في النجاح وبعد الكشف الطبي الكامل كنت ضمن من نجح في الكشف الطبي والتحقت بالمدرسة وأخذت حياتي مساراً جديداً لم يكن في الحسبان وعند التخرج كان ضرب النار من مواد الامتحان وذهبت أنا وزملائي البالغ عددهم المائة إلي ساحة (ضرب النار) وكنت أخشي أن أرسب لضعف عيني اليمني ولكن سرعان ما تذكرت كلمة الداعية الإسلامي " توكل علي الله وأنت تنجح " وفعلا أشربت روحي هذه العقيدة وتوجهت إلي مكان ضرب النار بكل ثقة وايمان وتوكل علي الله فكنت الفائز الأول نتيجة صدق التوكل علي الله تعالي.

حقيقة التوكل:

مما سبق يتضح لنا أن التوكل الصحيح هو بذل الجهد في حدود الطاقة البشرية ثم ترك التدبير إلي من بيده التدبير

" إنه ليس من حق المؤمن بالله أن يحرث في البحر ويبذر في السباخ ويتوكل علي الله ليعطيه أفضل ما يعطي الزارعين ..... إن من حرث في البحر وبذر في السباخ خاب ولم ينبت له زرع ولم يكن له ثمر ".[1]

[1] انظر تصحيح مفاهيم حول التوكل ت/ عبدالرحمن حسن حبنكة ص (٢٨-٢٩) مطابع رابطة العالم الاسلامي السنة السادسة العدد ٦٤ رجب ١٤٠٧هـ – مارس ١٩٨٧ م

فترك السنن الكونية التي خلقها الله تعالي سبب أصيل لتخلف المسلمين وتقدم غيرهم فسنن الله لا تحابي أحدا فمن جد وجد ومن زرع حصد ومن سار علي الدرب وصل أما النوم والتكاسل فليس ذلك من الإسلام قال تعالي ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]

وقال تعالي ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]

وقال سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]

وقال عليه الصلاة والسلام " لأن يأخذ أحدكم حبلا ثم يغدو إلي الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل لناس".[١]

فالتوكل الحقيقي نلحظه بما يلي: " فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلي الأسباب وقطع علاقه القلب بها ".[٢]

اللهم اجعلنا من المتوكلين عليك لنكون من المحبوبين إليك الفائزين بجنتك ورضوانك .

آمين يارب العالمين.

---

[١] رواه البخاري ومسلم

[٢] مدارج السالكين ابن قيمة الجوزية (١٢٠/٢)

الباب الثامن: المتقون

- تمهيد
- التقوي لغة واصطلاحا
- صفات المتقين
- من معاني كلمة التقوي في القرآن
- من انوار السنة النبوية في تقوي الله
- تقوي الله في اللسان
- تقوي الله في المطعم
- تقوي الله في السمع والبصر

الباب الثامن: المتقون

تمهيد:

بين الله سبحانه محبته للمتقين في ثلاث آيات وهم

الأولي:

في سورة آل عمران قال سبحانه ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ٧٦]

الثانية:

في سورة التوبة قال تعالي ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٤]

الثالثة:

في سورة التوبة أيضاً قال تعالي ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٧]

فالتقوي مقام شريف يحب الله من سار علي دربها بل ينال معية الله سبحانه كما قال في كتابه الكريم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]

لذلك أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوي فقال سبحانه وتعالي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وقال سبحانه ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]

ولكن ما معني التقوي؟ وماذا قال عنها أهل العلم وما صفات المتقين أولئك الذين ينالون بها محبة الله تعالي

أولاً: معني التقوي لغة واصطلاحا

التقوي لغة:

هي الإسم من قولهم اتقي والمصدر الاتقاء وكلاهما مأخوذ من مادة (و . ق . ي) التي تدل علي دفع شيء بغيره.

وقال الراغب ما خلاصته: الوقاية: حفظ الشييء مما يؤذيه ويضره والتقوي: جعل النفس في وقاية مما يخاف.[١]

قال ابن منظور: وفي التنزيل العزيز ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٧] أي جزاء تقواهم وقيل معناه: ألهمهم تقواهم وقوله تعالي ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة المدثر: ٥٦] أي هو أهل أن يتقي عقابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلي مغفرته.[٢]

---

[١] موسوعة نضرة النعيم (١٠٧٩/٤)

[٢]جامع العلوم والحكم حي ١٤٨

والتقوي إصطلاحا:

هي امتثال أوامر الله تعالي واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور وترك كل منهي عنه حسب الطاقة.[1]

وقيل في معني التقوي " وأصل التقوي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقية منه فتقوي العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقية من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ".

أقوال مأثورة في تعريف التقوي:

قال علي بن أبي طالب: التقوي ترك الإصرار علي المعصية وترك الاغترار بالطاعة.

قال الحسن: التقوي أن لا تختار علي الله سوي الله وتعلم أن الأمور كلها بيد الله .[2]

قال طلق بن حبيب: التقوي أن تعمل بطاعة الله علي نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله علي نور من الله تخاف عقاب الله

---

[1] نفس المرجع السابق (١٠٨٠/٤) بتعرف

[2] التفسير الكبير (٢٩/٢)

قال الحسن: مازالت التقوي بالمتقين حتي تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام

وقال ميمون بن مهران: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه

وقال ابن مسعود في قوله تعالي ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

قال: أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسي وأن يشكر فلا يكفر

وسئل أبو هريرة عن التقوي فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال: نعم قال: كيف صنعت ؟ قال: رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوي .

وأخذ هذا المعني ابن المعتمر فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر مايري

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصي.[١]

وقال سيد قطب رحمة الله " التقوي ..... حساسية في الضمير وشفافية في الشعور وخشية مستمرة وحذر دائم وتوق لأشواك الطريق طريق

[١] جامع العلوم والحكم (١٤٩-١٥٠) ط/ دار المعرفة بيروت لبنان

الحياة .... الذي تتجاذبه أشواك الغائب و الشهوات وأشواك المطامع والمطامح وأشواك المخاوف والهواجس ...."[1]

صفات المتقين

وللمتقين صفات وسمات يتميزون بها عن الناس ومن هذه الصفات ما ورد في أوائل سورة البقرة قال تعالي ﴿ الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥) ﴾ [سورة البقرة: ١ لـ ٥]

الصفة الأولي:

الإيمان بالغيب:- أي التصديق بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم من البعث والجنة والنار والصراط والحساب

الصفة الثانية:

يقيمون الصلاة:- أي يؤدونها علي الوجه الأكمل بشروطها وأركانها وخشوعها وآدابها

قال ابن عباس: اقاتمها أي اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع

[1] انظر الظلال (٣٩/١)

" فيتجهون بالعبادة لله وحده ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد وعبادة الأشياء . يتجهون إلي القوة المطلقة بغير حدود ويحنون جباههم لله لا للعبيد . والقلب الذي يسجد لله حقا ويتصل به علي مدار الليل والنهار يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود .... ويحس أنه أقوي من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق "[1]

الصفة الثالثة:

" وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ " أي ومن الذي أعطيناهم من الأموال ينفقون ويتصدقون في وجوه البر والإحسان والآية عامة تشمل الزكاة والصدقة وسائر النفقات.

قال الرازي رحمة الله: يدخل في الإنفاق المذكور في الآية الإنفاق الواجب والإنفاق المندوب والإنفاق الواجب أقسام أحدهما: الزكاة وهي في قوله في آية الكنز﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[سورة التوبة:٣٤]

وثانيها: الإنفاق علي النفس وعلي من تجب عليه نفقته

وثالثها: الإنفاق في الجهاد

[1] الظلال (٤٠/١) ط الشروق ١٩٧٧م

أما الإنفاق المندوب فهو أيضا إنفاق لقوله تعالي ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ وأراد به الصدقة لقوله بعد ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة المنافقون: ١٠].[١]

الصفة الرابعة:

" وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ " يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة

الصفة الخامسة:

" وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ " ويصدقون بما أنزل الله تعالي من كتب علي الرسل من قبلك كالتوراة والإنجيل و الزبور

ونتيجة التمسك بهذه الصفات قال سبحانه ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥]

أي وهم بهذه الصفات علي أتم هداية من ربهم وأنهم هم الفائزون في الدنيا بالطهر والطمأنينة وفي الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار.[٢]

---

[١] التفسير الكبير (٢٩/٢)

[٢] أيسر التفاسير ت/ أبو بكر الجزائري ص ٢٢

من معاني كلمة التقوي في القرآن: [1]

١- الخوف والخشية كما في قوله تعالي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]

٢- العبادة كما في قوله تعالي ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[النحل: ٢]

٣- ترك المعصية كما في قوله تعالي ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لا تعصوه [البقرة: ١٨٩]

٤- التوحيد كما في قوله تعالي ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[الحجرات: ٣]

٥- الإخلاص كما في قوله تعالي ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢]

٦- العبادة كما في قوله تعالي ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]

من بشارات القرآن للمتقين:

١- محبة الله قال تعالي ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]

٢- الولاية قال تعالي ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

---

[1] موسوعة نضرة النعيم (٤/ ١٠٨٠)

٣- المعية قال تعالي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

٤- التكريم قال تعالي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

٥- المقام الأيمن قال تعالي ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١ ، ٥٢]

٦- اليسر والسهولة في الأمر قال تعالي ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

٧- العون والنصرة قال تعالي ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]

٨- العلم قال تعالي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٩- قبول العمل قال تعالي ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

١٠- القرب من الحضرة الإلهية عند الفوز بمقعد صدق عند مليك مقتدر قال تعالي ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر: ٥٤ ، ٥٥]

من أنوار السنة النبوية في تقوي الله:

كان النبي صلي الله عليه وسلم دائماً يوصي أمته بتقوي الله تعالي ففي حجة الوداع أمر المسلمين بتقوي الله تعالي

– فعن أبي أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال: اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم.[١]

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: تقوي الله وحسن الخلق.[٢]

– وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن.[٣]

– وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: لا تصاحب إلا مؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي".[٤]

– وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يدعوا الله أن يرزقه التقوي فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه كان يقول: اللهم إني أسالك الهدي والتقي والعفاف والغني.

– وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.[١]

---

[١] رواه مسلم

[٢] رواه الترمذي والحاكم

[٣] رواه الترمذي وحسنه محقق جامع الأصول

[٤] رواه أبو داود والترمذي وحسنة محقق جامع الأصول (٦٦٦/٦)

– ولقد أمر الرسول صلي الله عليه وسلم المسلمين أن يتقوا الله في معاملة الحيوانات

فعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلي الله عليه وسلم ببعيرقد لحق ظهره ببطنه فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة.[٢]

– وعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلي الله عليه وسلم لحاجته هدفاً[٣] أو حائش نخل قال: فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأي النبي صلي الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلي الله عليه وسلم فمسح ذِفراه.[٤]

فقال: الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه.[٥]

---

[١]رواه مسلم

[٢]أخرجه أبو داود وقال محقق جامع الأصول حديث حسن (٦١٢/٤)

[٣]هدفا: ما ارتفع من بناء ونحوه

[٤]ذفراه: الموضع الذي يعرق من قفاه أو العظم الشافعي خلف الأذن

[٥]رواه أبو داود وصححه صاحب جامع الأصول وتدئبه بمعني تتعبه وتشقيه

تقوي الله في اللسان:

حفظ اللسان من أهم الأمور التي تعين علي التقوي حينما يبتعد اللسان عن الغيبة والنميمة والسب والشتم وقيل وقال يتقرب الإنسان من ربه وينال محبته فعليك أيها المحب أن تتقي الله في لسانك فقد قال سبحانه ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]

وعن أبي موسي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل ؟ قال: من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده.[١]

وقال النووي رحمة الله " أعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلا ما ظهرت فيه المصلحة "[٢]

لذلك يقول بعض أهل العلم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان

ولذلك عرف الصالحون ضرر اللسان وعلموا أنه لا يمكن أن تأتي تقوي الله إلا باجتناب ضرر هذا اللسان ولذلك أثر عن ابن عباس رضي الله عنه في اللسان أنه وقف علي الصفا وأخذ يبكي ويمسك بلسان نفسه ويقول يا لسان قل خيرا تغنم أو اسكت عن شر تسلم .

---

[١] متفق عليه

[٢] رياض الصالحين ص٥٦٩ الطبعة الخامسة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م

قال أحد التابعين: جلسنا مع عطاء بن رباح ثلاثين سنة في الحرم فما كان يتكلم إلا بذكر الله أو بآيات الله أو بأمر بمعروف أو ينهي عن منكر أو بحاجة لابد منها فقلنا له في ذلك فقال: مالكم ؟ أتنسون أن عليكم من يحفظ أنفاسكم ومن يسجل كلماتكم ويحاسبكم به أمام الله ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]

فالله الله في حفظ اللسان . تحفظ اللسان من اللعن ومن البذاء ومن الفحش ومن الإسراف في المزاح الذي لا يرضي الله عز وجل ومن كثرة اللغو بغير ذكر الله عز وجل ومن الغيبة ومن النميمة ومن الاستهتار و الاستهزاء خاصة بالأخيار وبالعلماء وبطلبة العلم وبالدعاة.[١]

تقوي الله في المطعم:

وينبغي علي المسلم أن يتقي الله في مطعمه فيتمسك بالكسب الحلال ويتجنب الكسب الحرام متذكراً قول الرسول صلي الله عليه وسلم " كل جسد نبت من سحت فالنار أولي به .[٢]

وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتي تنظر ما يدخل بطنك حلال أم حرام

---

[١] سياط القلوب بتصرف ت/ عائض القرني ص (١٨١ – ١٨٥) ط دار ابن حزم

[٢] رواه أحمد وأبو نعيم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥/٩)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امريء وفي جوفه حرام حتي يتوب إلي الله تعالي منه

وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام.[1]

فتقوي الله تكون في المطعم الحلال بأن يتقي الله الإنسان فيما يدخل بطنه فلا يدخل بطنه إلا كل حلال طيب.[2]

تقوي الله في السمع والبصر:

تقوي الله تكون في السمع والبصر قال تعالي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال النووي رحمة الله: "باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار علي قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه".[3]

فاحفظ سمعك من سماع اللغو والقول القبيح قال تعالي ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القصص: ٥٥]

---

[1] التربية الشاملة ت/ الحسيني أنور ص (٢٩٣ – ٢٩٤)

[2] سياط القلوب ص ١٨٧

[3] رياض الصالحين ص ٥٧٤ ط ٥ مؤسسة الرسالة

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".[1]

واتقي الله في بصرك عما حرم عليه قال ابن دقيق العيد رحمة الله: " إن التقوي سبب لغض البصر وتحصين الفرج ".[2]

وقال بعض السلف من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته.[3]

ورحم الله الإمام الشافعي القائل:

لسانك لا تذكر به عورة امريء فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معائباً فقل يا عين للناس أعين[4]

فاحرص أخي المسلم علي تقوي الله بفعل ما أمر الله به واجتناب نواهيه لتنال الرضي والمعية والمحبة من أرحم الراحمين .

ودّع ابن عوف رجلاً فقال: عليك بتقوي الله فإن المتقي ليس عليه وحشة

---

[1] رواه الترمذي وقال: حديث حسن

[2] الفتح (١٠٩/٩)

[3] تفسير ابن كثير (٢٨٣/٣)

[4] سياط القلوب ص ١٨٧

وقال زيد بن أسلم: كان يقال من اتقي الله أحبه الناس وان كرهوا

وقال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاَ.[1]

اللهم يا أرحم الراحمين وفقنا لتقواك لننال رضاك ومحبتك

أمين يا رب العالمين.

[1] الفوائد / ١٣٥-١٣٦

الباب التاسع: المحسنون

- تمهيد
- الإحسان لغة واصطلاحا
- دعوة الإسلام إلي الإحسان
- طرق الإحسان
- الإحسان بالنفع البدني
- الإحسان بالمال
- الإحسان بالجاه
- الإحسان بالعلم
- أثر الإحسان في حياة الأمة
- من فوائد الإحسان

الباب التاسع: المحسنون

تمهيد:

بين الله سبحانه وتعالي محبته للمحسنين في كتابه الكريم خمس مرات وهي كما يلي:

أولاً: قال تعالي ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة البقرة: ١٩٥]

ثانياً: قال تعالي ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]

ثالثاً: قال تعالي ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٨]

رابعاً: قال تعالي ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣]

خامساً: قال تعالي ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٩٣]

أليس محبة الله تعالي للمحسنين كفي به جزاء وكفي بذلك فضلاً وشرفاً بل وعدهم بالزيادة، فقال سبحانه ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٥٨]

وقال تعالي ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٥٦]
وقال سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٢] بل بين أنه معهم قال تعالي ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ووعدهم بالبشري فقال ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الحج: ٣٧]

ومن رحمة الله وفضله أن جعل الجزاء من جنس العمل ومن ذلك أنه جعل ثواب الإحسان إحساناً كما قال تعالي ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]

فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه وقد أوضح الله سبحانه في كتابه العزيز جزاء المحسنين وأنه أعظم جزاء وأكمله فقال تعالي ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

وهذه الآية فسرها رسول الله صلي الله عليه وسلم بما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه بأن الحسني: الجنه والزيادة النظر إلي وجه الله عزوجل

الإحسان لغة واصطلاحاً:

الإحسان لغة: ضد الإساءة .... وحسنت الشيء تحسيناً زينته.[1]

الإحسان اصطلاحاً: مراقبة الله في السر والعلن وفي القول والعمل وهو فعل الخيرات علي أكمل وجه ابتغاء مرضات الله

وفسر النبي صلي الله عليه وسلم الإحسان حين سأله جبريل عليه السلام فقال: " هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".[2]

لذلك قال العلماء: " إذا اقترن الإحسان بالإيمان والإسلام كان المراد به الإشادة إلي المراقبة وحسن الطاعة أما إذا ورد الإحسان مطلقاً فإن المراد به فعل ما هو حسن ".[3]

دعوة الإسلام إلي الإحسان

اهتم الإسلام بالإحسان ولقد سمي الرسول صلي الله عنه وسلم الإسلام والإيمان و الإحسان دينا فقال في حديث جبريل الطويل: هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم

---

[1] نضرة النعيم (٦٧/٢)

[2] رواه البخاري

[3] نضرة النعيم (٦٧/٢) باختصار

لذلك أمر االله سبحانه وتعالي بالإحسان في غير موضع من كتابه الكريم إذ قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال تعالي ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة القصص: ٧٧]

أي وأحسن إلي خلقه كما أحسن هو إليك فيما أنعم به عليك فأعن خلقه بما لك وجاهك وطلاقة وجهك وحسن لقائهم والثناء عليهم في غيبتهم.[١]

وأمر الله سبحانه بالإحسان في القول قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣] والقول الحسن هو النافع في الدين أو الدنيا فينبغي علي المسلم أن يحرص علي القول الطيب مع البر و الفاجر.

وما أفضل القول الحسن في مجال الدعوة إلي الله تعالي قال تعالي: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]

فالموعظة لابد أن تكون حسنة ولطيفة والجدال لا يكون بالتي هي أخشن إنما يكون بالتي هي أحسن وأرفق وألين مع حسن الخطاب من غير عنف، وما أروع قول الله سبحانه ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]

---

[١] الدين والحياة (٣٤/٩) العدد ١٦٣ السنة الثامنة

أي وقل لعبادي يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم مع خصومهم من المشركين وغيرهم: الكلام الأحسن للإقناع مع البعد عن الشتم والسب والأذي.[1]

حتي في التحية بين المسلمين قال تعالي ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء: ٨٦]

فالزيادة علي السلام مندوبة والمماثلة مفروضة فمن قال: السلام عليكم وجب الرد بالقول: وعليكم السلام أو بالزيادة بقول: وعليكم السلام ورحمة الله . ومن بدأ السلام بقول: السلام عليكم ورحمة الله كان الرد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وهكذا يزيد المجيب علي المسلّم بكلمة أو أكثر

طرق الإحسان:

طرق الإحسان كثيرة نذكر منها:

الإحسان في العبادات: فأي عبادة افترضها الله علي العبد عليه أن يأتي بها علي الوجه الذي رضيه سبحانه مع إخلاصها له وموافقتها بشريعة نبيه صلي الله عليه وسلم وأن يحاول المسلم أن يؤدي العبادة أياً كان نوعها من صلاة أو صيام أو حج أو غيرها أداء صحيحاً

[1] الدين والحياة (٣٤/٩) العدد ١٦٣ السنة الثامنة

باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها مع استشعار مراقبة الله تعالي له وبذلك تأتي العبادة علي الوجه المطلوب والصورة الكاملة

الإحسان في باب المعاملات: ويدخل في هذا الباب ثمانية أنواع للإحسان وهما: الإحسان إلي الوالدين ، الإحسان إلي الأقارب ، الإحسان إلي اليتامى والمساكين ، الإحسان إلي الجار ، الإحسان إلي الصديق وابن السبيل ، الإحسان إلي الخادم ، الإحسان إلي عموم الناس ، الإحسان إلي الحيوان

أولاً: الإحسان إلي الوالدين: ببرهما الذي هو طاعتها وإيصال الخير إليها وكف الأذى عنهما والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما.[1]

ولا يدخر وسعاً في تقديم ألوان البر والرعاية والإكرام لهما من مأكل شهي وملبس نفيس وسكن مريح .... وفوق ذلك كله: الكلمة الطيبة والوجه الطلق المحيا الباسم الثغر الفائض بالحب والحنان والوفاء والعرفان بالفضل لصاحبي الفضل الكبير الوالدين.[2] وصدق الله العظيم القائل ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [سورة العنكبوت: ٨]

ثانياً: الإحسان إلي الأقارب: ببرهم وبرحمتهم والعطف والحب عليهم وفعل ما يجمل فعله معهم وترك ما يسيء إليهم أو يقبح قوله أو فعله

---

[1] منهاج المسلم للجزائري ص ١٨٥

[2] شخصية المسلم د/ محمد علي الهاشمي ص ٨٩ ط دار القرآن الكريم ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

معهم . ولنتأمل هذا الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن.[1] واتقي الله فيهن فله الجنة ".[2]

وروي مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: " لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل.[3] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت علي ذلك " .[4]

ثالثاً: الإحسان إلي اليتامى والمساكين:- إن اليتامى والمساكين صنفان من الناس في أشد الحاجة إلي الإحسان إليهم والمساعدة لهم فاليتيم: هو من مات أبوه وهو صغير ففقد بذلك عائلة وراعية فيكون في حاجة شديدة لمن يقف بجواره ويشد من أزره ويظل معه حتي يشتد عوده ويقف علي قدميه فالإحسان إلي اليتامي " بالمحافظة علي

---

[1] عشرتهم

[2] رواه الترمزي و أبو داود

[3] الرماد

[4] رواه مسلم

أموالهم وصيانة حقوقهم وتأديبهم وتربيتهم وترك أذاهم وعدم قهرهم وبالهش في وجوههم والمسح علي رؤوسهم ".[1]

وكذلك المسكين الذي لا يجد من النفقة ما يكفيه يحتاج إلي من يمد إليه يداً محسنة حانية عطوفة بارة فيسد جوعتهم ويستر عورتهم وبالحث علي إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقرون ولا يزدرون ولا ينالون بسوء أو يمسون بمكروه وصدق الله العظيم القائل ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء: ٣٦] وقال تعالي ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [سورة الضحي: ٩]

وروي عن أبي هريرة أن رجلاً شكا إلي النبي قسوة قلبه فقال: "إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين "[2]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الساعي علي الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: " وكالقائم لا يفتر[3] وكالصائم لا يفطر "[4]

---

[1] منهاج المسلم للجزائري ص ١٨٥

[2] القرطبي ج ٢٠ ص ١٠١

[3] لا يضعف

[4] رواه مسلم

رابعاً: الإحسان إلي الجار:- وتكون بحسن العشرة وكف الأذي وإعانته وقيل في حد الجيرة قال الأوزاعي: أربعون داراً من كل ناحية وقيل الأولي عدم التحديد بالدور وجعل الجار من تجاوره ويتراءى وجهك وجهه في غدوك أو رواحك إلي دارك

ولذلك قال الرسول صلي الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلي جاره ".[1]

فجعل الرسول صلي الله عليه وسلم الإحسان إلي الجار علامة من علامات الإيمان بالله وباليوم الآخر وفي رواية للبخاري:" من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يؤذِ جاره "

والإحسان يكون للجار المسلم وغير المسلم فقد عاد النبي صلي الله عليه وسلم ابن جاره اليهودي وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي

خامساً: الإحسان إلي الصديق وابن السبيل:

فمازلنا مع الآية الكريمة التي بينت أصنافاً من الناس يحتاجون إلي الإحسان وذكرت منهم " والصاحب بالجنب " قيل هو الرفيق في السفر وقيل إنها المرأة فإنها بجنب زوجها وبعلها وقيل هو الرفيق الصالح وأرجح أن المقصود بقوله تعالي " والصاحب بالجنب " بما قال زيد

---

[1] رواه مسلم

بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر[1] لأنه يشمل كل صديق لك وصاحب سواء في العمل أو غيره فذلك أولي بالإحسان بمساعدته والتعاون معه والأخذ بيده إلي طاعة الله وابن السبيل: أي المسافر الغريب فيكون الإحسان إليه " بقضاء حاجته وسد خلته ورعاية ماله وصيانة كرامته وبإرشاده استرشد وهدايته إن ضل "[2]

سادساً: الإحسان إلي الخادم: وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يجف عرقه وبعدم تكليفه ما لا يطيق وبصون كرامته واحترام شخصيته فإن كان من خدم البيت فبإطعامه مما يطعم أهله وكسوته مما يكسون .[3]

سابعاً: الإحسان لعموم الناس:

بالتلطف في القول لهم ومجاملتهم في المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وبإرشاد ضالهم وتعليم جاهلهم وبإنصافهم من النفس والاعتراف بحقوقهم وبكف الأذي عنهم بعدم إرتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم.[4]

ثامناً: الإحسان إلي الحيوان:

---

[1] مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ص ٣١١

[2] منهاج المسلم ص ١٨٥

[3] نفس المرجع السابق ١٨٥ باختصار

[4] المرجع السابق ص ١٨٥

بإطعامه إذا جاع ومداوته إن مرض وبعدم تكليفه مالا يطيق وحمله علي ما لا يقدر وبالرفق به إن عمل وإراحته إن تعب.[1]

وقال الفضيل: " لو أن العبد أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ".[2]

ومن الإحسان إلي الحيوان إراحتها عند ذبحها أو قتلها لقول صلي الله عليه وسلم " ان الله كتب الإحسان علي كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته ".[3]

الإحسان بالنفع البدني:

وذلك بأن يجود ببذل ما يستطيعه من القوة البدنية في تحصيل المصالح ودفع المفاسد فيمنع الظالم عن الظلم ويميط الأذي عن الطريق – مثلاً – ولذلك قال الرسول صلي الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه " كل سلامي من الناس عليه صدقة ويعين الرجل علي دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يخطوها إلي الصلاة صدقة ويميط الأذي عن الطريق صدقة " وفي الأعمال البدنية بإجادة العمل وإتقان الصنعة وبتخليص

---

[1] المرجع السابق ص ١٨٥

[2] الدين والحياة / ٩ / ١٠ العدد ١٦٣ السنة الثامنة

[3] رواه البخاري

سائر الأعمال من الغش وقوفاً عند قول الرسول صلي الله عليه وسلم " من غشنا فليس منا ".[1]

الإحسان بالمال:

من وسع الله عليه الرزق وآتاه المال فإن عليه أن يشكر الله علي ذلك بصرفه في الطرق التي شرعها فيقضي الحاجة ويقري الضيف ويطعم الجائع تحقيقاً لقوله سبحانه ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة القصص: ٧٧]

الإحسان بالجاه:

وإذا لم يتمكن من قضاء حاجة أخيه فعليه أن يكون عوناً له في سبيل تحصيلها وذلك بالسعي معه لدي من يستطيع ذلك إقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم وامتثالاً لأمره فقد شفع صلي الله عليه وسلم لمغيث لدي زوجته بريرة رض الله عنها فهذه شفاعة بين زوجين للإصلاح بينهما وأمر أصحابه بالشفاعة فقال الرسول صلي الله عليه وسلم " اشفعوا تؤجروا "[2]

---

[1] منهاج المسلم ص ١٨٦

[2]

الإحسان بالعلم:

وتكون بتعليم الجاهل وإرشاد الحيران وإفتاء السائل وهذا من أفضل الإحسان لأن فيه سعادة الدنيا والآخرة

أثر الإحسان في حياة الأرملة:

– رد الجميل للوالدين فعن طريقهما – بعد الله تعالي – انتقلت إلي الإنسان نعمة الوجود فيكون الإحسان إليهما جزء صغير لما قدماه للإنسان

– دعم الروابط الأسرية وتوثيق العري الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم

– رعاية اليتامي والمساكين والإحسان إليهما يحفظ المجتمع من أخطار فادحة وعواقب وخيمة وخصوصاً إذا جاع المسكين وعضه الفقر وضاع اليتيم فإنهما يصبحا معول هدم للمجتمع

– إشاعة الألفة والمحبة والتماسك والتشابك بين أفراد المجتمع لأن النفس جلبت علي حب من أحسن إليها

– الإحسان من أهم وسائل نهضة المسلمين:– إن الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به إتقان من يعلم علم اليقين أن الله عزوجل

ناظر إليه مطلع علي عمله وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقي المجتمعات.[1]

– الإحسان يشمل الفرد والمجتمع والدولة والحياة بأسرها وأنه لن تقوم تربية راشدة إلا إذاغرسنا معني الإحسان في النفوس علي أنه من محاب الله تعالي.[2]

المحسنون يفوزون بالجنة والنعيم:

بين الله سبحانه وتعالي سر استحقاق المتقين بالجنات والعيون فقال ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ١٥ ، ١٦]

فقد كانوا في الدنيا يحسنون إلي عباد الله ويفعلون صالح الأعمال خشية من ربهم وطلباً لرضاه ولذلك قال تعالي ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [سورة النجم: ٣١]

فكانوا يستحقون الجزاء الكبير والأجر المضاعف لأنهم كانوا محسنين فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم: " ثلاث من

---

[1] نضرة النعيم (٧٠/٢)

[2] نفس المرجع السابق (٧٥/٢)

كن فيه ستر الله عليه كنفه وأدخله جنته ؛ رفق بالضعيف وشفقة علي الوالدين وإحسان إلي المملوك ".[1]

ولقد بين الرسول صلي الله عليه وسلم تجاوز الله عن رجل كان يحسن في معاملة الناس ويتجاوز عنهم عن حزيفة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تَلقّت الملائكةُ روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً ؟ قال: لا قالوا تذكر قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر قال: قال الله عزوجل تجووزوا عنه"[2]

من فوائد الإحسان:

– المحسن يكون في معية الله عزوجل ومن كان الله معه فإنه لا يخاف بأساً ولا رهقاً

– المحسن يكتسب بإحسانه محبة الله عزوجل

– للمحسنين أجر عظيم في الآخرة حيث يكونون في مأمن من الخوف والحزن

---

[1] رواه الترمذي بسند حسن

[2] رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم

– من ثمرات الإحسان التمكين في الأرض قال تعالي ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٥٦]

– للمحسن البشري بخيري الدنيا والآخرة

– الإحسان وسيلة لحصول البركة في العمر والمال والأهل

– الإحسان وسيلة لإستشعار الخشية والخوف من الله تعالي.[١]

[١] انظر نضرة النعيم (٢/ ٩٠-٩١)

الباب العاشر: الجيل المنشود

- تمهيد
- أوصاف الذين يحبهم الله تعالي ويحبونه
- شرح صفات المحبين المحبوبين

الباب العاشر: الجيل المنشود

تمهيد:

قال تعالي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]

إن اختيار الله للعصبة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض وتمكين سلطانه في حياة البشر وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة ..... إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة . فهو وذاك والله غني عنه وعن العالمين . والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم.[1]

[1] في ظلال القرآن /٢/٩١٧ ت/ سيد قطب دار الشروق الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

ففي هذه الآية إشادة إلي أن من أ عرض عن حبنا وتولي عن قربنا ولم يبال استبدلنا به من هو أولي بهذه المنحة منه وأحق فمن أعرض عن الله فما له عن الله بدل ولله منه أبدال.[1]

وحب العبد لربه نعمة لا يدركها كذلك إلا من ذاقها وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمراً هائلاً عظيماً وفضلاً غامراً جزيلاً فإن إنعام الله علي العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيهه .. هو إنعام هائل عظيم وفضل غامر جزيل.[2]

ورحم الله رابعة العدوية في قولها:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضي والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالشكل هين وكل الذي فوق التراب تراب[3]

---

[1] جامع العلوم والحكم ت/ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن شهاب الدين ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي مكتبة الثقافة الدينية القاهرة الطبعة الأولي ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ص ٣٦٧

[2] في ظلال القرآن (٩١٨/٢)

[3] انظر نفس المرجع السابق (٩١٨/٢)

أوصاف الذين يحبهم الله تعالي ويحبونه:

ذكر الله تعالي لهم أربع علامات

الأولي: أذلة علي المؤمنين

الثانية: أعزة علي الكافرين

الثالثة: الجهاد في سبيل الله

الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم

شرح صفات المحبين المحبوبين:

" فقد ذكر لهم أربع علامات . الأولي والثانية أنهم: أذلة ؛ أعزة قيل معناه أرقاء رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم . فلما ضمن أذلة هذا المعني عداه بأداة "علي" قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده وعلي الكافرين كالأسد علي فريسته ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] [١]

وقيل " إنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم والغلظة لهم . فلما أحبوا أولياءه الذين

---

[١] تهذيب مدارك السالكين ص (٢١٥ – ٢١٦)

يحبونه فعاملوهم بالمحبة والرأفة والرحمة وبغضوا أعداء الذين يعادونه فعاملوهم بالشدة والغلظة "[1]

وقيل " أخبر الله تعالي المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضهم فإن الله يأتي عوضاً عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين والتواضع لهم ولين الجانب والقسوة والشدة علي الكافرين وهذا من كمال صفات المؤمنين وبهذا أمر الله نبيه صلي الله عليه وسلم فأمره بلين الجانب للمؤمنين بقوله ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٥] وأمره بالقسوة علي غيرهم بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]

وأثني تعالي علي نبيه باللين للمؤمنين في قوله تعالي ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]

وصرح بأن ذلك المذكور في اللين للمؤمنين والشدة علي الكافرين من صفات الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بقوله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]

---

[1] جامع العلوم والحكم ص ٣٦٧

ويفهم من هذا الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة لأن اللين في محل الشدة ضعف وخور والشدة في محل اللين حمق وخرق وقد قال أبو الطيب المتبني:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع

وحلم الفتي في غير موضعه جهل[1]

الصفة الثالثة والرابعه:

" يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "

فالجهاد في سبيل الله لإقرار منهج الله في الأرض وإعلان سلطانه علي البشر وتحكيم شريعته في الحياة لتحقيق الخيروالصلاح والنماء للناس .... هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد .... فالجهاد في سبيل الله وليس لأنفسهم من هذا حظ إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك .

[1] انظر أضواء البيان للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ص (١١٤/٢) المطابع الأهلية الرياض ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م

وهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .... وفيم الخوف من لوم الناس وهم قد ضمنوا حب رب الناس ؟ وفيم الوقوف عند مألوف الناس وعرف الجيل ومتعارف الجاهلية وهم يتبعون سنة الله ويعرضون منهج الله للحياة ؟ ..... ومن هنا تجاهد العصبة المؤمنة في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم فهذه سمة المؤمنين المختارين

ثم إن ذلك الاختيار من الله وذلك الحب المتبادل بينه وبين المختارين وتلك السمات التي يجعلها طابعهم وعنوانهم وهذا الاطمئنان إلي الله في نفوسهم والسير علي هداه في جهادهم ذلك كله من فضل " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم "

يعطي عن سعة ويعطي عن علم ... وما أوسع هذا العطاء الذي يختار الله له من يشاء عن علم وعن تقدير.[1]

[1] في ظلال القرآن (٢/٩١٩-٩٢٠) بتصرف

الخاتمة

هذا هو طريق المحبة واضح لا لبس فيه ولا غموض تبدأ بالتوبة وهي تلازم العبد في حياته حتي مماته ثم الطهارة ثم القسط والعدل واتباع هدي الرسول صلي الله عليه وسلم والصبر والقتال في سبيل الله صفاً كالبنيان المرصوص والتوكل علي الله تعالي والتقوي والإحسان والذلة علي المؤمنين والشدة علي أعداء الله والجهاد في سبيل الله ولا تأخذهم في الله لومة لائم بهذه الصفات يحبك الله ويقربك ويهديك فاجتهد وشمر عن ساق الجد وعرفت فالزم اللهم ارزقنا حبك واجعلنا يارب ممن أحببتهم لننال رضاك وعفوك يا أكرم الأكرمين.

التوصيات

يجب علي المسلم أن يتمسك بالصفات التالية وإلا هلك فإذا أردت محبة رب العالمين لك فاحرص علي ما يلي:

– التوبة الصادقة بشروطها وكثرة الحسنات فإنهن يذهبن السيئات وجدد التوبة علي الدوام

– طهر ظاهرك برفع لحدث دائماً وإزالة النجس وطهر باطنك من الشرك والرباء والغل والحسد

– كن مقسطاً وعادلاً مع نفسك وأولادك وزوجك وجيرانك وإخوانك تعش مطمئناً

– واعلم أن متابعة الرسول صلي الله عليه وسلم في أعماله وأقواله وأخلاقه يوجب محبة الله تعالي لك فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن في أن يحبك الله ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً وان لم تفعل ذلك فارجع من حيث شئت والتمس نوراً فلست علي شيء

– وتمسك في حياتك كلها بالصبر فالصبر ضياء وبغير الصبر تضل وتهوي في ظلام دامس

– الحرص علي الجهاد في سبيل الله والوحدة وعدم الاختلاف و ترك التنازع فإن الله تعالي قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فانقذوا أنفسكم يا دعاة الفرقة والاختلاف

– التوكل علي الله يبين تعلق قلبك بالله فاحرص عليه بعد الأخذ بالأسباب ولا تعتمد علي الأسباب إنما اعتمد علي رب الأسباب وحده

– احرص علي التقوي فإنها منزلة عالية وثمارها يانعة ولا يصل إليها وإلي أنوارها إلا الموفق المحبوب لله رب العالمين

– التمسك بالإحسان فجميع مشاكل المسلمين من الممكن أن تحل بهذه المنزلة فتمسكوا بها لتنالوا محبة الله تعالي

– احرص علي صفات جيل التمكين المنشود فالله سبحانه يحب هذا الجيل فقد قدم محبته قبل محبتهم فقال " يحبهم ويحبونه " فتواضعوا مع

إخوانكم في الله ولا تضعفوا أمام أعداء الخير والإيمان وارفعوا راية الجهاد

بذلك ترجع أراضي المسلمين السليبة ويرجع المسجد الأقصى للمسلمين فلا حل إلا بالجهاد ورفع رايته " يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " فإذا تمسكنا بهذه الأمور العظيمة كان الخير العميم والنفع الكثير علينا وعلي الأمة الإسلامية

واجعل هذا الدعاء أخي الفاضل وردك دائماً دعاء داود عليه السلام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " كان من دعاء داود يقول: اللهم إني أسألك حَّبك وحَّب من يحبُّك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومالي وأهلي ومن الماء البارد " أخرجه الترمذي اللهم اجعلنا ممن أحببتهم وأكرمتهم ورضيت عنهم والحمدلله رب العالمين .

المراجع

١- الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد ترتيب وتأليف أحمد عبدالرحمن البنا ط/ دار الشهاب القاهرة

٢- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم اشراف / صالح عبدالله بن حميد – عبدالرحمن بن ملوح ط/دار الوسيلة ط/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م جدة المملكة العربية السعودية

٣- صحيح مسلم بشرح النووي دار أبي حيان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م

٤- شرح رياض الصالحين ت/ محمد بن صالح العثيمين

٥- منهاج المسلم للجزائري ط/ مكتبة المعارف الرياض- المملكة العربية السعودية

٦- احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ط/دار الحديث القاهرة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م

٧- تهذيب مدارك السالكين كتبه ابن قيم الجوزية وهذبه عبدالمنعم صالح العلي الغري مطبعة كاظم

٨- رياض الصالحين طبعة مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرنؤوط

٩- من مائدة الشريعة الإسلامية ت/ سلمان نصيف الدحدوح ط/ شركة العميرة للطباعة والنشر ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

١٠- موسوعة الآداب الإسلامية ت/ عبدالعزيز أمين فتحي السيد ندا الطبعة الثانية / دار طيبة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م

١١- الداء والدواء الطبعة الثالثة لدار ابن الجوزي – السعودية
١٢- منهاج الصالحين ت/عز الدين بليق ط/ دار الفتح – بيروت ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م
١٣- تفسير آيات الأحكام ت/ محمد علي الصابوني الطبعة الثالثة مكتبة الغزالي دمشق ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م
١٤- تفسير القرطبي الناشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م
١٥- فتح القدير للشوكاني الطبعة الثالثة دار الفكر ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م
١٦- تنبيه الغافلين لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م دار الكتاب العربي بيروت
١٧- المغني لابن قدامة دار عالم الكتب الطبعة السادسة الرياض ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م
١٨- الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف – الكويت – مطابع دار الصفوة الطبعة الأولي ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م
١٩- فقه السنة للشيخ سيد سابق ط/ الشركة الدولية للطباعة – مصر الطبعة الأولي ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م
٢٠- المعجم الوسيط دار الأمواج – بيروت – لبنان الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م

تفسير التحرير والتنوير تأليف / محمد الطاهر بن عاشور الناشر دار سحنون
٢١- عناصر القوة في الإسلام ت/ السيد سابق دار الكتاب العربي – بيروت
٢٢- أخبار عمر ت/ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي
٢٣- توجيهات نبوية علي الطريق ت/ د/ السيد محمد نوح ط/ دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الأولي ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م
٢٤- هيا بنا نؤمن ساعة ت/ د/ سعيد عبد العظيم الطبعة الأولي دار الفضيلة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م
٢٥- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ت/ ابن قيم الجوزية الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان
٢٦- مختصر تفسير ابن كثير للشيخ / محمد علي الصابوني المكتبة العصرية صيدا – بيروت ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م
٢٧- السيرة النبوية ت/ علي محمد الصلابي دار المعرفة بيروت لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م
٢٨- الضياء اللامع في الخطب الجوامع ت/ محمد بن صالح العثيمين دار عكاز – جدة الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م
٢٩- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ت/ابن قيم الجوزية ط/ دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

٣٠- أصول الدعوة ت/ د/ عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
٣١- تفسير أضواء البيان ت/ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي المطابع الأهلية الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م
٣٢- تفسير الكشاف دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م
٣٣- تفسير القرطبي ط/ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
٣٤- توجيهات علي الطريق ت/ د/ السيد نوح الجزء الثالث دار اقرأ للنشر والتوزيع - دار اليقين للنشر والتوزيع ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م
٣٥- السعادة والحياة ت/ عبدالكريم بن عوض اللبيني السلمي
٣٦- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م
٣٧- الفوائد دار ابن خزيمة ١٩٩٨م
٣٨- فقه العبادات ت/ حسن أيوب مطابع دار التراث العربي القاهرة الطبعة السابعة١٤٠٩ هـ - ١٩٨٦م
٣٩- حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ت/ عباس السيسي دار الدعوة الاسكندرية ط٢

٤٠- تصحيح مفاهيم حول التوكل ت/ عبدالرحمن حسن حبنكة مطابع رابطة العالم الإسلامي السنة السادسة العدد ٦٤ رجب ١٤٠٧ هـ - مارس ١٩٨٧م
٤١- جامع العلوم والحكم ت/ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي / مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م
٤٢- أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري
٤٣- سياط القلوب / عائض القرني ط/ دار ابن حزم
٤٤- الدين والحياة العدد ١٦٣ السنة الثامنة
٤٥- شخصية المسلم ت/ محمد علي الهاشمي ط/ دار القرآن الكريم ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٤٦- تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
٤٧- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تميمة
٤٨- الجهاد محمد نعيم ياسين دار الفرقان - عمان الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٤٩- مجموع فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

السيرة الذاتية

- الاسم / الحسيني أنور شبانة الديب

  مصري – الدقهلية – السنبلاوين

- تاريخ الميلاد / ١٩٥٩/١١/٤م
- ليسانس شريعة – الجامعة الإسلامية

المدينة المنورة [١٤٠٢ هـ – ١٤٠٣ هـ] الموافق ١٩٨٢م

- عمل مدرساً لمادة التربية الإسلامية بوزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة
- عمل إماماً وخطيباً بوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف – دولة الإمارات العربية المتحدة
- عمل داعية إسلامي بدولة البحرين تبع الرئاسة العامة بالمملكة العربية السعودية

ألف كتاب بعنوان " التربية الشاملة للأطفال والناشئة من المنظور الإسلامي"